ضوابط الحوار البنّاء في الإسلام لبناء إنسان لعالم متعدد الحضارات في ضوء السنّة النبوية

إعداد الدكتور

وليد عبد الرحيم إبراهيم عبد الرحيم

عضو هيئة التدريس بجامعة الأزهر

أستاذ الحديث وعلومه المساعد بقسم الدراسات الإسلامية

بكلية التربية بنين بالقاهرة

ضوابط الحوار البنّاء في الإسلام لبناء إنسان لعالم متعدد الحضارات في ضوء السنّة النبوية

وليد عبد الرحيم إبراهيم عبد الرحيم .
عضو هيئة التدريس بجامعة الأزهر -أستاذ الحديث وعلومه المساعد بقسم الدراسات الإسلامية -بكلية التربية بنين بالقاهرة
الإيميل الجامعي: Waleedraheem19@gmail.com

ملخص البحث

**_ وقد بيّنت فيه ضرورة فقه سنة الله في كونه من التباين والاختلاف وأنّ هذا من السنن التي لا تتبدل، فضلا عن كونه من دلائل إعجاز الله في كونه وخلقه, وأنّ مردّ الفصل والحكم في ذاك الاختلاف إنما هو إلى الخالق سبحانه وتعالى يوم القيامة, وبيان فقه سنة التدافع القاضية أيضا بالاختلاف.

وبيّنت فيه مرجع الخلق إلى أب واحد، وأن الحضارات نتاج إعمال الفكر والتدبر وهذا لا مزية فيه لأحد من البشر مؤمنا كان أو غير مؤمن على غيره, ثم عرجت على بيان ضوابط الحوار البنّاء من اللين والرفق وحسن التلقي والسماع ومخاطبة الناس على قدر عقولهم وعلومهم وقبول الحق ممّن كان.

وبيّنت فيه أنّ اختلاف الدين والثقافات لا يعني وجوب الصدام؛ بله التعاون على الحق والتكامل والإفادة من الجميع, ثم عرّجت على بيان أهم أدلة ذلك مما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية ومصادر التشريع المعتبرة الأخرى, وما ورد في ذلك من إفادة المسلمين الأوائل من علوم الأمم الأخرى.

الكلمات الافتتاحية: سنة ، العدل ، الاختلاف، التعايش, حوار.

The Principles of Constructive Dialogue in Islam for the Cultivation of a Multicultural World

Waleed Abd-AlRaheem Ibrahim Abd-AlRaheem.
Professor of Hadith and its Sciences at Al-Azhar University, Department of Islamic Studies, Faculty of Education for Boys, Cairo, Egypt.

ABSTRACT:

the importance of comprehending God's laws in the context of diversity and differences is elucidated. It is emphasized that this diversity is among the unchanging norms and is indicative of God's miraculous creation. The ultimate judgment of these variations will be in the hands of the Creator on the Day of Judgment. Additionally, the research highlights the importance of understanding the divine laws governing diversity.

discusses the common origin of humanity from a single parent and emphasizes that civilizations result from human thought and reflection, regardless of one's faith or beliefs

. The section outlines the key principles of constructive dialogue, including gentleness, kindness, active listening, addressing individuals according to their understanding and knowledge, and the acceptance of truth from anyone.

asserts that religious and cultural differences do not necessarily entail conflict; rather, they can lead to cooperation, mutual benefit, and integration. It draws upon relevant passages from the Quran, the Prophet's teachings, and other reputable sources of Islamic jurisprudence. It highlights instances where early Muslims benefited from the knowledge of other nations

. ***Keywords:*** Sunnah’ justice ‘ the difference’ coexistence‘ Dialogue

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على خير الأنام محمد صلى الله عليه وسلّم.

مقدمة:

الحمد لله الذي خلق آدم وذريته من طين, وميزهم بالعقل على كثير من العالمين, وجعل التقوى ميزانا للتفاضل بين المتسابقين, ووزّع الثروات بحكمته على أقاليم الأرض بما يجمع بين حكماء المفكرين, ويخضع غرور المتجبرين وزيف الأفاكين, وما زال كثير من عقلاء الخلق عاكفين على الدعوة إلى التعارف بين المتباعدين والتأليف بين المتنافرين بما يعود بالفوائد على الخلق ويحفظ حق المستضعفين, وذلك انطلاقا من الإيمان بسنن رب العالمين, القاضي على عباده بالاختلاف المبين, والآمر لهم بالتواصل فيما بينهم مع الرفق واللين, والتورع عن إثارة الفتن وكل ما يباعد بين المتآلفين, وقد منّ عليهم ببعثة الأنبياء والمرسلين, وختم بخير الخلق أجمعين, فما بقي حجة لأحد على رب العالمين, وصار الطريق واضحا للسائرين, فطوبى للمجاهدين الصابرين, والحمد لله رب العالمين»

** وبعد .. فقد استعنت بالله جلّ وعلا, في دراسة موضوع من الأهمية بمكان, وهو: ((ضوابط الحوار البنّاء في الإسلام لبناء إنسان لعالم متعدد الحضارات في ضوء السنّة النبوية,, دراسة موضوعية))

_** ويرجع سبب اختياري لدراسة هذا الموضوع لأمور , منها :

(أ)_ بيان فقه بعض سنن الله تعالى في كونه.. (ب)_ توضيح فقه وجوب التعايش بين الشعوب والأعراق المتباينة .

(ج) _ ذكر بعض ضوابط الحوار البنّاء.. (د)_ ذكر الشواهد الصحيحة على إمكانية تحقيق التعايش مع الاختلاف.

- أما إشكالية البحث.. فترجع إلى :

_ (أ) كثرة واشتداد النزاعات بين كثير من الشعوب والأمم المختلفة .

_(ب) خلط كثير من الناظرين (غير المتخصصين وربما المغرضين المُوَجّهين) بين نصوص التعايش مع المخالف ومفهوم نصوص ظهور الإسلام وعزة المؤمنين, ومن ثم وجوب إزالة تلك الإيرادات والعمل على بيان التأصيل الصحيح لمفهوم الخلاف وكيفية التعايش معه وإمكانية التواصل مع المخالف والإفادة منه ووجوب الالتقاء معه على أمر سواء يفصل بينهم.

**_ المؤلفات في الباب: المقالات والمؤلفات في الباب كثيرة, لكنها تدور حول أساليب الحوار وشروطه ويخلو أكثرها من التأصيل الشرعي للاختلاف وفقهه والإفادة منه, وهذا ما نرنو للتأصيل له في بحثنا هذا بعون الله وتوفيقه سبحانه.

**_ وقد جاء هذا العمل في ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : ضرورة فقه سنن الله في كونه القاضية بالتنوع والاختلاف.. (ص٣).

المبحث الثاني: ضرورة إقامة حوار بنّاء مع المخالف وأهم ضوابطه.. (ص٧)

المبحث الثالث : التأصيل الشرعي للتعاون مع المخالف.. (ص٢٠)

ثم ألحقت آخر البحث بخاتمة بيّنت فيها أهمّ ما توصلت إليه من نتائج , ثم فهرس المراجع.

*** المنهج المتبع في البحث : _ جمع النصوص الواردة في المسألة محلّ البحث _ قدر المستطاع _ خاصة من السنة النبوية, وتخريج النصوص من كتب السنة مكتفيا بإثبات صحتها ولم أتوسع في تخريجها, مع بيان درجة الحديث أو الأثر.

_ دراسة النصوص الواردة في الباب مع إبراز ما يشير إليه النصّ مما نذكره في سياقه..

هذا واللهَ العليّ القدير_ جل وعلا _ أسأل أن يجعله خالصا لوجهه الكريم, وأن ينفع به الإسلام والمسلمين, والله من وراء القصد .

*** *** ***

المبحث الأول: ضرورة فقه سنن الله في كونه القاضية بالتنوع والاختلاف

ولتوضيح المنطلقات العقدية لفقه وإدراك ذلك نقول مستعينين بالله عز وجل :

لقد جاءت الشريعة الغراء داعية إلى فهم آيات الله في خلقه وكونه, ومنه:

_أنّ الاختلاف من آيات الله لحِكَمٍ أرادها سبحانه: قال الله سبحانه وتعالى: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ (١١٩) } [هود], وَقَال تعالى: {وَلَو شَاءَ الله مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِن الله يفعل مَا يُرِيد} [البقرة: ٢٥٣], وَقَال تعالى :{ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ} [الأنعام: ٣٥] , وقَال تَعَالَى: {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ} [الأنعام: ١٠٧]

_ وعَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ آدَمَ مِنْ قَبْضَةٍ قَبَضَهَا مِنْ جَمِيعِ الأَرْضِ، فَجَاءَ بَنُو آدَمَ عَلَى قَدْرِ الأَرْضِ، فَجَاءَ مِنْهُمُ الأَحْمَرُ وَالأَبْيَضُ وَالأَسْوَدُ وَبَيْنَ ذَلِكَ، وَالسَّهْلُ وَالحَزْنُ وَالخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ»[(١)]

قال الطبري في التفسير (٥٣١/١٥): ولو شاء ربك لجعل الناس كلها جماعة واحدة على ملة واحدة ودين واحد. وقال بعض أهل التأويل: هو الاختلاف في الأديان, أي: ولا يزال الناس مختلفين على أديان شتى. * * *

_ وقال الشاطبي في الاعتصام دار ابن الجوزي، السعودية, ط: الأولى، ١٤٢٩ (٢٠٢/٣) تعقيبا على هذه الآية الكريمة: فَتَأَمَّلُوا .رَحِمَكُمُ اللَّهُ .كَيْفَ صَارَ الِاتِّفَاقُ مُحَالًا فِي الْعَادَةِ لِيُصَدِّقَ الْعَقْلُ بِصِحَّةِ مَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ.

_ وقال الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ) في التحرير والتنوير, الدار التونسية- تونس: ١٩٨٤(١٩٠/١٢) « لَمَّا خَلَقَهُمْ عَلَى جِبِلَّةٍ قَاضِيَةٍ بِاخْتِلَافِ الْآرَاءِ وَالنَّزَعَاتِ

(١)الترمذي, أَبْوَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ, بَابٌ: وَمِنْ سُورَةِ البَقَرَةِ (٢٠٤/٥, ح ٢٩٥٥ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، وَابْنُ أَبِي عَدِيٍّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، وَعَبْدُ الوَهَّابِ، قَالُوا: حَدَّثَنَا عَوْفُ بْنُ أَبِي جَمِيلَةَ الأَعْرَابِيُّ، عَنْ قَسَامَةَ بْنِ زُهَيْرٍ، عَنْ أَبِي مُوسَى: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ».

وَكَانَ مُرِيدًا لِمُقْتَضَى تِلْكَ الْجِبِلَّةِ وَعَالِمًا بِهِ كَمَا بَيَّنَاهُ آنِفًا كَانَ الِاخْتِلَافُ عِلَّةً غَائِيَّةً لِخَلْقِهِمْ، وَالْعِلَّةُ الْغَائِيَّةُ لَا يَلْزَمُهَا الْقَصْرُ عَلَيْهَا بَلْ يَكْفِي أَنَّهَا غَايَةُ الْفِعْلِ، وَقَدْ تَكُونُ مَعَهَا غَايَاتٌ كَثِيرَةٌ أُخْرَى فَلَا يُنَافِي مَا هُنَا قَوْلُهُ: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات: ٥٦] لِأَنَّ الْقَصْرَ هُنَالِكَ إِضَافِيٌّ، أَيْ إِلَّا بِحَالَةِ أَنْ يَعْبُدُونِي لَا يُشْرِكُوا، وَالْقَصْرُ الْإِضَافِيُّ لَا يُنَافِي وُجُودَ أَحْوَالٍ أُخْرَى غَيْرَ مَا قَصَدَ الرَّدَّ عَلَيْهِ بِالْقَصْرِ كَمَا هُوَ بَيِّنٌ لِمَنْ مَارَسَ أَسَالِيبَ الْبَلَاغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَتَقْدِيمُ الْمَعْمُولِ عَلَى عَامِلِهِ فِي قَوْلِهِ: وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ لَيْسَ لِلْقَصْرِ بَلْ لِلِاهْتِمَامِ بِهَذِهِ الْعِلَّةِ، وَبِهَذَا يَنْدَفِعُ مَا يُوجِبُ الْحَيْرَةَ فِي التَّفْسِيرِ فِي الْجَمْعِ بَيْنَ الْآيَتَيْنِ».

وقال أيضا في التحرير (١٨٩/١٢) وَفُهِمَ مِنْ شَرْطِ (لَوْ) أَنَّ جَعْلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً فِي الدِّينِ مُنْتَفِيَةٌ، أَيْ مُنْتَفٍ دَوَامُهَا عَلَى الْوَحْدَةِ فِي الدِّينِ وَإِنْ كَانُوا قَدْ وُجِدُوا فِي أَوَّلِ النَّشْأَةِ مُتَّفِقِينَ فَلَمْ يَلْبَثُوا حَتَّى طَرَأَ الِاخْتِلَافُ بَيْنَ ابْنَيْ آدَمَ- عَلَيْهِ السَّلَامُ- لِقَوْلِهِ تَعَالَى: كانَ النَّاسُ أُمَّةً واحِدَةً [الْبَقَرَة: ٢١٣] وَقَوْلِهِ: وَما كانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً واحِدَةً فَاخْتَلَفُوا فِي سُورَةِ يُونُسَ [١٩] فَعُلِمَ أَنَّ النَّاسَ قَدِ اخْتَلَفُوا فِيمَا مَضَى فَلَمْ يَكُونُوا أُمَّةً وَاحِدَةً، ثُمَّ لَا يدْرِي هَل يؤول أَمْرُهُمْ إِلَى الِاتِّفَاقِ فِي الدِّينِ فَأَعْقَبَ ذَلِكَ بِأَنَّ الِاخْتِلَافَ دَائِمٌ بَيْنَهُمْ لِأَنَّهُ مِنْ مُقْتَضَى مَا جُبِلَتْ عَلَيْهِ الْعُقُولُ.

_ وقال الطبري في تأويل قوله تعالى: {وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ [يوسف: ١٠٣]}: (٢٨٤/١٦): وما أكثر مشركي قومك يا محمد، ولو حرصت على أن يؤمنوا بك بمصدّقيك ولا مُتَّبعيك.

_ ومع ذلك فقد منع ربّ العزة من الإكراه على الدين؛ فقال: {لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ} [البقرة: ٢٥٦] قال الطبري في التفسير (٤٠٧/٥): اختلف أهل التأويل في ذلك؛ فقال بعضهم: نزلت في قوم من الأنصار- أو في رجل منهم - كان لهم أولاد قد هودوهم أو نصروهم، فلما جاء الله بالإسلام أرادوا إكراههم عليه، فنهاهم الله عن ذلك، حتى يكونوا هم يختارون الإسلام* ثم روى عن ابن جبير، عن ابن عباس قال: كانت المرأة تكون مقلاتا، فتجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تهوّده, فلما أجليت بنو النضير كان فيهم من أبناء الأنصار، فقالوا: لا ندع أبناءنا! فأنزل: «لا إكراه في الدين... »[2], ونقل عن سعيد بن جبير قال: من شاء أن يقيم أقام، ومن شاء أن يذهب ذهب « قال: فأجلوهم معهم» .. وكذا نقل نحوه عن غير واحد من أئمة التابعين؛ فليراجع..

وقال: {وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ} [يونس: ١٩]

(2) أبو داود في سننه, كِتَاب الْجِهَادِ, بَابٌ فِي الْأَسِيرِ يُكْرَهُ عَلَى الْإِسْلَامِ (٥٨/٣, ح٢٦٨٢ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ عَلِيٍّ الْمُقَدَّمِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَشْعَثُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ يَعْنِي السِّجِسْتَانِيَّ، ح وحَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ - ح وحَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ، قَالَ حَدَّثَنَا وَهْبُ بْنُ جَرِيرٍ، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ أَبِي بِشْرٍ، عَن ابْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ:" ... مِقْلَاتًا ..." قَالَ أَبُو دَاوُدَ: الْمِقْلَاتُ: الَّتِي لَا يَعِيشُ لَهَا وَلَدٌ. ورواته ثقات.

ولا بد من التنبيه أن الاختلاف الذي نتحدث عنه هنا عام يشمل الاختلافات بين الأمة الواحدة أو الشعب الواحد وتلك التي تنشأ بين أمم وشعوب مختلفة سواء أدى ذلك إلى صراع مسلح أم لا, فليتنبه لهذا..

_** ضرورة علم وفقه أنّ الحكم في هذا الاختلاف مردّه إلى الله تعالى وحده لا إلى أحد من خلقه..

قال الله سبحانه وتعالى:{ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ} [البقرة: ١١٣], وقال:{ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ} [يونس: ٩٣], وقال:{وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ} [النحل: ٩٢], وقال:{ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ} [النحل: ١٢٤], وقال: {إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ} [السجدة: ٢٥] إلى غير ذلك من النصوص الكريمة .

_* ومن عجيب ما يروى في هذا الباب ما جاء في الرسالة القشيرية لعبد الكريم بن هوازن القشيري (المتوفى: ٤٦٥هـ): دار المعارف، القاهرة (٣٨١/٢) سمعت بَعْض الْعُلَمَاء يَقُول: استضاف مجوسي إِبْرَاهِيم الخليل عَلَيْهِ السَّلام فَقَالَ: بشرط أَن تسلم, فمر المجوسي! فأوحى اللَّه تَعَالَى إِلَيْهِ: منذ خمسين سنة نطمعه عَلَى كفره فلو ناولته لقمة من غَيْر أَن تطالبه بتغيير دينه! فمضى إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلام عَلَى أثره حَتَّى أدركه واعتذر إِلَيْهِ فسأله عَنِ السبب فذكر ذَلِكَ لَهُ فأسلم المجوسي»[٣].

_والناظر الحصيف يلحظ أن رب العزة سبحانه أعلمَ وأبان ببيانه هذا أن الفصل في ذاك الاختلاف إنما يكون يوم القيامة مما يوحي ببقاءه ما بقيت الدنيا! فليتنبه لهذا؛ قال ابن القيم _في الصواعق المرسلة, دار العاصمة، الرياض, ط: الأولى، ١٤٠٨هـ (٥١٩/٢)_: ووقوع الاختلاف بين الناس أمر ضروري لا بد منه؛ لتفاوت إرادتهم وأفهامهم وقوى إدراكهم ولكن المذموم بغي بعضهم على بعض وعدوانه... فإنه أمر لا بد منه في النشأة الإنسانية .

_** ومنها: ضرورة فهم سنة تدافع الناس وأنّ ذلك من آيات رب العزة, ومدافعة ذلك مخالفٌ لإرادة الله سبحانه!

قال الله تعالى: {وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (٢٥١) }

قال الطبري في التفسير(٣٧٢/٥,): يعني تعالى ذكره بذلك: ولولا أنّ الله يدفع ببعض الناس وهم أهل الطاعة له والإيمان به بعضًا، وهم أهلُ المعصية لله والشرك به- كما دفعَ عن المتخلِّفين عن طالوتَ يوم جالوت من أهل الكفر بالله والمعصية له...لفسدت الأرض، يعني: لهلك أهلها بعقوبة الله إياهم، ففسدت بذلك الأرض

(٣) «وفي تفسير الشعراوي, مطابع أخبار اليوم (٨٤٥٩/١٤) فقال الرجل: نِعْم الرب ربٌّ يعاتب أحبابه في أعدائه، ودخل في دين الحق ».

ولكن الله ذو منّ على خلقه وتطوُّلٍ عليهم، بدفعه بالبَرّ من خلقه عن الفاجر، وبالمطيع عن العاصي منهم، وبالمؤمن عن الكافر.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل* ثم نقل قول مجاهد: ولولا دفع الله بالبَرّ عن الفاجر، وبقية أخلاف الناس بعضهم عن بعض "لفسدت الأرض"، بهلاك أهلها, وقال عليّ رضي الله عنه: لولا بقية من المسلمين فيكم لهلكتم.

_ والشاهد: أن التدافع لا يكون غالبا إلا عن تنوع واختلاف, وأرى أنّ التدافع هنا أعم مما نقله الإمام الطبري رحمه الله فيما بين المسلمين وغيرهم؛ إذ الواقع يشهد بتدافع أمم الأرض جميعا مع بيان أنّ الحق قد يكون في طرف أمة غير مؤمنة في مواجهة نظيرتها ممن يعتدون عليها ويعمدون إلى استغلال أهلها واستنزاف مواردها, فليتنبه لهذا ..

_ * ولا شك أنّ التدافع يترتب عليه صُنُوف من الابتلاءات: قال الله تعالى:{وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ (٣١)} محمد.. وقال:{وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا }[هود: ٧], وقال: { الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا } [الملك: ٢]

_ * ضرورة فقه أنّ الابتلاء سنة ماضية في المرسلين والمصلحين؛ وقال تعالى: {وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ (٣٤) } الأنعام .

_ عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ قال: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، يَقُولُ حِينَ يَفْرُغُ مِنْ صَلَاةِ الْفَجْرِ مِنَ الْقِرَاءَةِ، وَيُكَبِّرُ وَيَرْفَعُ رَأْسَهُ: «سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ»، ثُمَّ يَقُولُ وَهُوَ قَائِمٌ: «اللهُمَّ أَنْجِ الْوَلِيدَ بْنَ الْوَلِيدِ... وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، اللهُمَّ اشْدُدْ وَطْأَتَكَ عَلَى مُضَرَ وَاجْعَلْهَا عَلَيْهِمْ كَسِنِي يُوسُفَ، اللهُمَّ الْعَنْ لِحْيَانَ وَرِعْلًا وَذَكْوَانَ وَعُصَيَّةَ عَصَتِ اللهَ وَرَسُولَهُ»، ثُمَّ بَلَغَنَا أَنَّهُ تَرَكَ ذَلِكَ لَمَّا أُنْزِلَ: {لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ} [آل عمران: ١٢٨]».(٤)

_ وأخرج مسلم, كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ, بَابُ غَزْوَةِ أُحُدٍ (١٤١٧/٣, ح ١٠٤ - (١٧٩١) عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ يَوْمَ أُحُدٍ، وَشُجَّ فِي رَأْسِهِ، فَجَعَلَ يَسْلُتُ الدَّمَ عَنْهُ، وَيَقُولُ: «كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ، وَكَسَرُوا رَبَاعِيَتَهُ، وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللهِ؟»، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: {لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ} [آل عمران: ١٢٨]

_ والبخاري, كِتَابُ المَنَاقِبِ, بَابُ عَلاَمَاتِ النُّبُوَّةِ فِي الإِسْلاَمِ (٢٠١/٤, ح ٣٦١٢ - عَنْ خَبَّابِ بْنِ الأَرَتِّ، قَالَ: شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الكَعْبَةِ، قُلْنَا لَهُ: أَلاَ تَسْتَنْصِرُ لَنَا، أَلاَ تَدْعُو اللَّهَ لَنَا؟ قَالَ: «كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ

(٤) مسلم, كِتَابُ الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةِ, بَابُ اسْتِحْبَابِ الْقُنُوتِ فِي جَمِيعِ الصَّلَاةِ إِذَا نَزَلَتْ بِالْمُسْلِمِينَ نَازِلَةٌ (٤٦٦/١, ح ٢٩٤-(٦٧٥)».

عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرَ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، لاَ يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ، أَوِ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ»

_ ومسلم, كتاب الْفِتَنِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ, بَابُ هَلَاكِ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ (٤/٢٢١٦, ح ٢٠-(٢٨٩٠) عن سَعْدِ بن أبي وقاص أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «سَأَلْتُ رَبِّي ثَلَاثًا، فَأَعْطَانِي ثِنْتَيْنِ وَمَنَعَنِي وَاحِدَةً، سَأَلْتُ رَبِّي: أَنْ لَا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالسَّنَةِ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالْغَرَقِ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يَجْعَلَ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ فَمَنَعَنِيهَا».

_ والشاهد: توكيد سنة التدافع بين فرق الأمة نفسها وكذا بينها وبين المخالفين, وأنّ سنن الابتلاء والتدافع مما يقتضي قوة وبأس (المخالفين) ومن ثم يتوجب المحاولة إلى الالتقاء على كلمة سواء وإيجاد قدر مشترك يصلح معه التعايش والتعارف.

_** ضرورة فقه أن طبيعة الاختلاف تفضي لا شك إلى تنوع الحضارات والأفكار وهو من آيات الله في خلقه؛ قال تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ (٢٢) } [الروم] قال الطبري في التفسير (٢٠/٨٧): ومن حججه وأدلته على أنه لا يُعجزه شيء... بل بقدرته التي لا يمتنع معها عليه شيء أراده (وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ): واختلاف منطق ألسنتكم ولغاتها (وَأَلْوَانِكُمْ) واختلاف ألوان أجسامكم (إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ): إن في فعله ذلك كذلك لعبرًا وأدلةً لخلقه الذين يعقلون.

_** ضرورة إدراك حكمة الله تعالى في تنويع شؤون الدنيا وخصائصها بين الليل والنهار والحار والبارد والسهل والحزن والخفض والرفع وكذا توزيع الثروات في الأرض؛ فمثلا :إن المُشَاهَد أن كثيرا من الأنهار تشق عدة أقاليم تجمع بين شعوب مختلفة وأعراق متنوعة من الخلق, وكذا الثروات المعدنية؛ فقُطْر غنيّ بالذهب وآخر بالنفط, وثالث بمعادن تدخل في الصناعات الدقيقة التي تدخل تقريبا في تكوين جميع الأجهزة الحديثة كالرقائق الإلكترونية, وأخرى غنية بما يستخدم كوقود للمحطات النووية كاليورانيوم... إلى غير ذلك مما يوجب عند أولي الألباب حاجة الناس إلى بعضهم والعمل على ضرورة التعايش والتكامل والعمل على إيجاد أرضية مشتركة رضوخًا لحكمة الله في كونه وإظهارًا لعجائب آياته ومظاهر قدرته سبحانه وإلا فإنّ الصراع المسلح سيكون سيد الموقف بما له من نتائج كارثية تمنع من استمرار الحياة!!

_**مثال واقعيّ حيّ.. لعل سباق التسليح الذي نشأ في ذروة الحرب الباردة بين القطبين الكبيرين (الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة) بعد الحرب العالمية الثانية وما صاحب ذلك من تطور كبير في علم الصواريخ والسفن الفضائية وإقرار كل قطب منها بضخامة تكاليف تلك الصواريخ والسفن والمركبات مما اضطرهم أخيرا للدعوة إلى إعلاء التعاون فيما بينهم وبين أمم الأرض كالاتحاد الأوروبي واليابان والصين وغيرها ممن يحاول اللحاق بهم كالهند وبعض الدول العربية؛

فما كان عاقبة ذلك !؟ لقد تسارعت عمليات اكتشاف الكون التي ظلت تراوح مكانها ردحا من الزمان أو ظلت عقودا تسير ببطيء؛ فما بين فينة وأخرى نسمع عن مركبة سترسل إلى المريخ أو المشتري أو غيرها من الكواكب, مما كان له أكبر الأثر في

اكتشاف ثروات هائلة في أرجاء الكون الفسيح, وكان ذلك عاملا كبيرا في شحذ همم العلماء للعمل على إيجاد طرق للحصول على بعض تلك الثروات إن أمكن واستيطان تلك الكواكب, وذاك ميدان فسيح ما زال كثير من العلماء والعقلاء يحذرون من مغبة الوقوع في شراك الأنانية والانفراد بتلك الثروات مما سيساهم في نشوب نزاعات مدمرة!!

وهذا يشبه تنازع الشعوب على الثروات الكامنة في البحار مما استدعى طرح أفكار تساهم في كيفية الإفادة من تلك الثروات بقوانين موحدة منضبطة تحقق النفع للأمم وتحول بين الوقوع في شراك الحروب المدمرة والنزاعات التي لا تنتهي..

ولنتدبر جيدا قَول الله تَعَالَى: {وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} [البقرة: ٢٥٥], فكل ما أمكن الوصول إليه هو جزء لا يذكر من ملكوت السماء الدنيا فقط فقط!!

وما وصل إليه العلماء فيه من ثروات يسيل لعابَ كل كامن خامل ومُسْتَوفِز طامع, ولا سبيل إلى ذلك والإفادة منه إلا التعاون؛ فكثير من أمم وشعوب الأرض قد شقت طريقها إلى الفضاء أو كادت أو وضعت أسس ذلك للحاق بالركب!!

وهنا تتجلى لنا أهمية ووجوب التعاون والتكامل وفهم وإدراك حكم الله في كونه!!

**<u>وهنا سؤال يطرح نفسه</u> وهو: هل ثمة طرق أخرى لتحقيق حكم الله في كونه غير الاختلاف الذي يؤدي _غالبا أو أحيانا_ إلى صراعات مدمرة ونزاعات شاقة مُشتِّتة حتى بين الأمة الواحدة وأتباع الدين الواحد وحتى المذهب الواحد!؟

<u>ويجاب عنه بأنّ هذا السؤال قديم جديد</u>؛ فقد سألته الملائكة قديما كما قال تعالى: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ} [البقرة: ٣٠].. <u>وجلاء ذلك</u>: أنّ الإنسان مخلوق مكرمٌ مكلفٌ بخوض التجارب واستخلاص النتائج, وهذا لا يتأتى إلا عن طريق تنوّع طرق التجارب وأحيانا نشوب النزاعات مما يترتب عليه استنفار الإنسان لقواه العقلية والبدنية لنفع نفسه وبني جلدته والدفاع عنهم ولا ريب أنّ في ذلك كثيرا من المنافع, وإلا فإنّ الدّعة ستسيطر على الناس وتحول بينهم وبين الوصول إلى نتائج استنفار تلك النعمة النورانية التي كرمهم الله وميزهم بها على كثير من خلقه ألا وهي العقل!؟

_* وبعد فيمكن أن نقول: إنه لن يكون لفقه ذلك كله ثمة فائدة ما لم يعمل حكماء الخلق على كيفية الإفادة من الخلاف ووضع ضوابط محكمة لبناء حوار بَنّاءٍ مع سائر الشعوب والأمم, وهو ما سنتعرف على أهم ضوابطه فيما يلي:

****

المبحث الثاني:

ضرورة إقامة حوار بنّاء مع المخالف وأهم ضوابطه

_ تقدم بيان أن الاختلاف بين الخلق سنة كونية ولتحقيق التكامل والتعايش معه فلا بد من إقامة حوار بنّاء هادف, ولن يقوم هذا إلا على أسس شرعية منضبطة؛ كالتواضع وفهم سنن رب العزة في كونه وخلقه وإلا كان كمن يحرث في البحر!

قَالَ: رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ».(٥)

_ وعَنْ أَبِي نَضْرَةَ حَدَّثَنِي مَنْ سَمِعَ خُطْبَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَيَّام التَّشْرِيقِ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى أَبَلَّغْتُ».(٦)

_ وقال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١) } النساء.

قال الطبري في التفسير (٧/٥١٢_٥١٣): يعني: احذروا، أيها الناس، ربكم في أن تخالفوه فيما أمركم وفيما نهاكم، فيحلّ بكم من عقوبته ما لا قِبَل لكم به, ثم وصف تعالى ذكره نفسه بأنه المتوحّد بخلق جميع الأنام من شخص واحد، مُعَرِّفًا عباده كيف كان مُبتدأ إنشائه ذلك من النفس الواحدة، ومنبّههم بذلك على أن جميعهم بنو رجل واحد وأم واحدة= وأن بعضهم من بعض، وأن حق بعضهم على بعض واجبٌ وجوبَ حق الأخ على أخيه، لاجتماعهم في النسب إلى أب واحد وأم واحدة= وأن الذي يلزمهم من رعاية بعضهم حق بعض، وإن بَعُدَ التلاقي في النسب إلى الأب الجامع بينهم، مثل الذي يلزمهم من ذلك في النسب الأدنى وعاطفًا بذلك بعضهم على بعض، ليتناصفوا ولا يتظالموا، وليبذُل القوي من نفسه للضعيف حقه بالمعروف على ما ألزمه الله له، فقال: {الذي خلقكم من نفس واحدة}، يعني: من آدم.

(أ)_ ** وهذا لا يتأتى إلا باستحضار منزلة الإنسان عند الخالق سبحانه وفي شريعته :

_ قال الطبري في التفسير (١٧/٥٠١): {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلا (٧٠) } الإسراء.. يقول تعالى ذكره (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ) بتسليطنا إياهم على غيرهم من الخلق، وتسخيرنا سائر الخلق لهم... قال زيد بن أسلم: قالت الملائكة: يا ربنا إنك أعطيت بني آدم الدنيا يأكلون منها

(٥)_مسلم, كتاب الْجَنَّةِ وَصِفَةِ نَعِيمِهَا وَأَهْلِهَا, بَابُ الصِّفَاتِ الَّتِي يُعْرَفُ بِهَا فِي الدُّنْيَا أَهْلُ الْجَنَّةِ وَأَهْلُ النَّارِ(٤/٢١٩٨, ح٦٤-(٢٨٦٥) عَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ أَخِي بَنِي مُجَاشِعٍ».

(٦) _ أخرجه أحمد (٣٨/٤٧٤, ح٢٣٤٨٩ - حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، حَدَّثَنَا سَعِيدٌ الْجُرَيْرِيُّ، عَنْ أَبِي نَضْرَةَ... وإسناده صحيح.

ويتنعَّمون، ولم تعطنا ذلك، فأعطناه في الآخرة، فقال: وعزّتي لا أجعل ذرّية من خلقت بيدي، كمن قلت له كن فكان.»

فالجنس البشري أصله واحد ولا يليق به إلا التَّشْرِيع بِالْمُسَاوَاةِ فِي الْعَدْلِ وإعلاء مبادئ وَحْدَة الأُخُوَّةِ الإنسانية الكريمة.

_ قال السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) في الحبائك في أخبار الملائك: دار الكتب العلمية- ط: الأولى، ١٤٠٥ (ص٢٢٢): ومخلوقات الله تعالى: المكلفون وما عداهم، ولا شك أن المكلفين أفضل من غيرهم، وأما المكلفون فهم أربعة أنواع: الملائكة والجن والإنس والشياطين؛ ولا شك أن الإنس أفضل من الجن والشياطين، ثم ذكر الخلاف في الفضل بين الملائكة والبشر.

_ وقَال تَعَالَى:{إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ} [الأحزاب: ٧٢] وقال: { هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا } [هود: ٦١] وقال: {هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا} [البقرة: ٢٩] وقال: {أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً}[لقمان: ٢٠].. وهو مخلوق متفرد مُركّبٌ فيه العقل النوراني والشهوة لذا اقتضى إنزاله منزلة خاصة لمجاهداته.

_ قال الرازي في تفسيره: دار إحياء التراث العربي- (٣٧٤/١١) : الْمَخْلُوقَاتِ تَنْقَسِمُ إِلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ إِلَى مَا حَصَلَتْ لَهُ الْقُوَّةُ الْعَقْلِيَّةُ الْحِكَمِيَّةُ وَلَمْ تَحْصُلْ لَهُ الْقُوَّةُ الشَّهْوَانِيَّةُ الطَّبِيعِيَّةُ وَهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَإِلَى مَا يَكُونُ بِالْعَكْسِ وَهُمُ الْبَهَائِمُ وَإِلَى مَا خَلَا عَنِ الْقِسْمَيْنِ وَهُوَ النَّبَاتُ وَالْجَمَادَاتُ وَإِلَى مَا حَصَلَ النَّوْعَانِ فِيهِ وَهُوَ الْإِنْسَانُ، وَلَا شَكَّ أَنَّ الْإِنْسَانَ لِكَوْنِهِ مُسْتَجْمِعًا لِلْقُوَّةِ الْعَقْلِيَّةِ الْقُدْسِيَّةِ الْمَحْضَةِ، وَلِلْقُوَى الشَّهْوَانِيَّةِ الْبَهِيمِيَّةِ وَالْغَضَبِيَّةِ وَالسَّبُعِيَّةِ يَكُونُ أَفْضَلَ مِنَ الْبَهِيمِيَّةِ وَمِنَ السَّبُعِيَّةِ، وَلَا شَكَّ أَيْضًا أَنَّهُ أَفْضَلُ مِنَ الْأَجْسَامِ الْخَالِيَةِ عَنِ الْقُوَّتَيْنِ مِثْلَ النَّبَاتِ وَالْمَعَادِنِ وَالْجَمَادَاتِ، وَإِذَا ثَبَتَ ذَلِكَ ظَهَرَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَضَّلَ الْإِنْسَانَ عَلَى أكثر أقسام المخلوقات. بقي هاهنا بَحْثٌ فِي أَنَّ الْمَلَكَ أَفْضَلُ أَمِ الْبَشَرَ؟...

(ب)_** والعلم بطبيعة الإنسان يساهم في حسن التعامل معه .. لذا قال الله تَعَالَى: {وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا} [الكهف: ٥٤], وقال: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً، كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ، وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا. الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ، أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا} [الفرقان: ٣٢_ ٣٤]

_ وما هذا التنويع والتصريف في الآيات إلا لاختلاف العقول وتفاوت مداركها وتباين قدراتها في الإفادة, فليتنبه لهذا .

أخرج مسلم, كِتَابُ الزُّهْدِ وَالرَّقَائِقِ (٢٢٧٩/٤, ح ١٦ - (٢٩٦٨) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: «... قَالَ: فَيَلْقَى الْعَبْدَ، فَيَقُولُ: أَيْ فُلْ أَلَمْ أُكْرِمْكَ، وَأُسَوِّدْكَ، وَأُزَوِّجْكَ، وَأُسَخِّرْ لَكَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ، وَأَذَرْكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، قَالَ: فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيَّ؟ فَيَقُولُ: لَا، فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي، ثُمَّ يَلْقَى الثَّانِيَ ...، ثُمَّ يَلْقَى الثَّالِثَ، فَيَقُولُ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ آمَنْتُ بِكَ، وَبِكِتَابِكَ، وَبِرُسُلِكَ، وَصَلَّيْتُ، وَصُمْتُ، وَتَصَدَّقْتُ، وَيُثْنِي بِخَيْرٍ مَا اسْتَطَاعَ، فَيَقُولُ: هَاهُنَا إِذًا، قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ لَهُ:

الْآنَ نَبْعَثُ شَاهِدَنَا عَلَيْكَ، وَيَتَفَكَّرُ فِي نَفْسِهِ: مَنْ ذَا الَّذِي يَشْهَدُ عَلَيَّ؟ فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ، وَيُقَالُ لِفَخِذِهِ وَلَحْمِهِ وَعِظَامِهِ: انْطِقِي، فَتَنْطِقُ فَخِذُهُ وَلَحْمُهُ وَعِظَامُهُ بِعَمَلِهِ، وَذَلِكَ لِيُعْذِرَ مِنْ نَفْسِهِ، وَذَلِكَ الْمُنَافِقُ وَذَلِكَ الَّذِي يَسْخَطُ اللهُ عَلَيْهِ»

وأخرج مسلم أيضا, الموضع السابق (٤/٢٢٨٠, ح ١٧ - (٢٩٦٩) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَضَحِكَ، فَقَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ؟» قَالَ قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «مِنْ مُخَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ، يَقُولُ: يَا رَبِّ أَلَمْ تُجِرْنِي مِنَ الظُّلْمِ؟ قَالَ: يَقُولُ: بَلَى، قَالَ: فَيَقُولُ: فَإِنِّي لَا أُجِيزُ عَلَى نَفْسِي إِلَّا شَاهِدًا مِنِّي، قَالَ: فَيَقُولُ: كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا، وَبِالْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُودًا، قَالَ: فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ، فَيُقَالُ لِأَرْكَانِهِ: انْطِقِي، قَالَ: فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ، قَالَ: ثُمَّ يُخَلَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلَامِ، قَالَ فَيَقُولُ: بُعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا، فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أُنَاضِلُ»

_ والشاهد هنا : أنّ الأدلة والشواهد الواردة في محاسبة ربّ العزة سبحانه لعباده يوم القيامة قائمة كما ترى على الحوار وإقامة الحجج ببراهين وأدلة لا تقبل الطعن والشك _مع غناه عن هذا كله_, فكيف بحوار ونقاش العباد بعضهم بعضا؟!

(ج)_** الرفق واللين والتلطف في الحوار: قال الله سبحانه وتعالى: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ (١٢٥) }النحل.. وقال: {وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (٤٦) }[العنكبوت: ٤٦], وقال: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} [آل عمران: ٦٤], وقال تعالى: تَعَالَى: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ } [آل عمران: ١٥٩]

_وَقَالَ الله سبحانه وتعالى لِنبييه الكريمين مُوسَى وَهَارُونَ عليهما السلام: {اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى} [طه: ٤٤] مع ما فِي سَابِقِ عِلْمِهِ من كون فِرْعَوْنَ عدوا لدودا لن يؤمن البتّة...

_ أورد ابن الجوزي في المنتظم (٨/٣٢٨) عن منصور بْن عمار قَالَ: مَا رأيت أغزر دمعا عند الذكر من ثلاثة: فضيل بْن عياض، وأبي عَبْد الرَّحْمَنِ الزاهد، وهارون الرشيد، وأتاه يوما رَجُل من الزهاد، فَقَالَ: يا هارون، اتق اللَّه، فأخذه فخلا به، وَقَالَ: يا هَذَا أنصفني، أنا شرّ أم فرعون؟ قَالَ: بل فرعون، قَالَ: فأنت خير أم موسى؟ قَالَ: بل موسى، قَالَ: أفما تعلم أن اللَّه تعالى لمّا بعثه وأخاه إِلَيْهِ قَالَ: فَقُولا لَهُ قَوْلًا لَيِّناً ؟! وقد جاهتني بأغلظ الألفاظ، فلا بأدب اللَّه تأدبت، ولا بأخلاق الصالحين أخذت. قَالَ: أخطأت وأنا أستغفر الله، فقال: غفر الله لك، وأمر لَهُ بعشرين ألف درهم، فأبى أن يأخذها.

_ وقال يَحْيَى بْنُ مُعَاذٍ: فِي قَصَصِهِ وَتَلَا هَذِهِ الْآيَةَ {... فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا ...} قَالَ: إِلَهِي وَسَيِّدِي هَذَا رِفْقُكَ لِمَنْ يَزْعُمُ أَنَّهُ إِلَهٌ، فَكَيْفَ رِفْقُكَ بِمَنْ يَقُولُ: أَنْتَ الْإِلَهُ . ينظر السنن الكبرى البيهقي (٦/٣٨٧, ٤١٩٣ -

_وهذا الرفق ثابت عن الأنبياء عليهم السلام في مخاطبة ألد أعدائهم فقد كان في مفتتح كتب خير الأنبياء والمرسلين ﷺ للملوك والقياصرة بسم الله...أسلم تسلم, فضلا عن التلطف معهم وإنزالهم منازلهم في قومهم من قوله: إلى عظيم... .

_ وأخرج البخاري, كِتَابُ الأَدَبِ, بَابُ الرِّفْقِ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ (١٢/٨, ح ٦٠٢٤ - عَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: دَخَلَ رَهْطٌ مِنَ اليَهُودِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكُمْ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَفَهِمْتُهَا فَقُلْتُ: وَعَلَيْكُمُ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ، قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَهْلًا يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " قَدْ قُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ» .

_* ومنه قَوْل رب العزة سبحانه وتَعَالَى في مخاطبة سليمان عليه السلام للملكة بلقيس: {قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ. إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ، وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ} [النمل: (٢٩_٣١)]

وما خطاب الأنبياء عليهم السلام لأقوامهم وتلطفهم بهم وصبرهم عليهم بخافٍ على الناس؛ فما خاطب نبيٌّ قومه إلا بقوله: يا قوم, وبعضهم ختم دعوته بالتصريح بخوفه من نزول العذاب بهم, وفيه من التلطف والحرص والرحمة ما فيه!

_* ومن أوضح شواهد التلطف في الحوار مع المخطيء؛ قول الله سبحانه وتعالى: {قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ (٢٤) } سبأ»

قال الطبري في التفسير(٢٠/٤-١): قل يا محمد ﷺ لهؤلاء المشركين بربهم الأوثان والأصنام: من يرزقكم من السماوات والأرض بإنزاله الغيث عليكم منها حياة لحروثكم، وصلاحًا لمعايشكم، وتسخيره الشمس والقمر والنجوم لمنافعكم، ومنافع أقواتكم، والأرض بإخراجه منها أقواتكم وأقوات أنعامكم، وترك الخبر عن جواب القوم استغناء بدلالة الكلام عليه، ثم ذكره، وهو: فإن قالوا: لا ندري، فقل: الذي يرزقكم ذلك الله وإنَّا أو إياكم أيها القوم لعلى هدى أو في ضلال مبين: يقول: قل لهم: إنا لعلى هدى أو في ضلال، أو إنكم على ضلال أو هدى. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل*. _ ولعمري .. هذا شاهد عزيز وتوجيه شريف يحمل كل حصيف على التواضع والرفق بالناس مهما بلغوا في خلافهم.

(د)_** حسن التلقي والاستماع؛ أخرج ابن أبي شيبة في المصنف (٣٣/٧, ح ٣٦٥٦٠ - عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ، عَنِ الْأَجْلَحِ، عَنِ الذَّيَّالِ بْنِ حَرْمَلَةَ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: «اجْتَمَعَتْ قُرَيْشٌ يَوْمًا فَقَالُوا: انْظُرُوا أَعْلَمَكُمْ بِالسِّحْرِ وَالْكَهَانَةِ وَالشِّعْرِ، فَلْيَأْتِ هَذَا الرَّجُلَ الَّذِي فَرَّقَ جَمَاعَتَنَا وَشَتَّتْ أَمْرَنَا وَعَابَ دِينَنَا فَلْيُكَلِّمْهُ وَلْيَنْظُرْ مَاذَا يَرُدُّ عَلَيْهِ، فَقَالُوا: مَا نَعْلَمُ أَحَدًا غَيْرَ عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ، فَقَالُوا: أَنْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ , فَأَتَاهُ عُتْبَةُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ خَيْرٌ أَمْ عَبْدُ اللَّهِ؟ فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ قَالَ: أَنْتَ خَيْرٌ أَمْ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ؟ فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ تَزْعُمُ أَنَّ هَؤُلَاءِ خَيْرٌ مِنْكَ فَقَدْ عَبَدُوا الْآلِهَةَ الَّتِي عِبْتَهَا، وَإِنْ كُنْتَ تَزْعُمُ أَنَّكَ خَيْرٌ مِنْهُمْ فَتَكَلَّمْ حَتَّى نَسْمَعَ قَوْلَكَ , إِنَّا وَاللَّهِ مَا رَأَيْنَا سَخْلَةً قَطُّ أَشْأَمَ عَلَى قَوْمِهِ مِنْكَ، فَرَّقْتَ جَمَاعَتَنَا وَشَتَّتَ أَمْرَنَا وَعِبْتَ دِينَنَا وَفَضَحْتَنَا فِي الْعَرَبِ حَتَّى لَقَدْ طَارَ فِيهِمْ أَنَّ فِي قُرَيْشٍ سَاحِرًا، وَأَنَّ فِي قُرَيْشٍ كَاهِنًا، وَاللَّهِ مَا نَنْتَظِرُ إِلَّا مِثْلَ صَيْحَةِ

الْحُبْلَى أَنْ يَقُولَ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ بِالسُّيُوفِ حَتَّى نَتَفَانَى أَيُّهَا الرَّجُلُ، إِنْ كَانَ إِنَّمَا بِكَ الْبَاءَةُ فَاخْتَرْ أَيَّ نِسَاءِ قُرَيْشٍ وَنُزَوِّجُكَ عَشْرًا، وَإِنْ كَانَ إِنَّمَا بِكَ الْحَاجَةُ جَمَعْنَا لَكَ حَتَّى تَكُونَ أَغْنَى قُرَيْشٍ رَجُلًا وَاحِدًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَفَرَغْتَ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَقَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. حم... » حَتَّى بَلَغَ «{فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ»} [فصلت: ١٣] فَقَالَ عُتْبَةُ: حَسْبُكَ حَسْبُكَ مَا عِنْدَكَ غَيْرَ هَذَا؟ قَالَ: لَا، فَرَجَعَ إِلَى قُرَيْشٍ فَقَالُوا: مَا وَرَاءَكَ؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ شَيْئًا أَرَى أَنَّكُمْ تُكَلِّمُونَهُ بِهِ إِلَّا وَقَدْ كَلَّمْتُهُ بِهِ، فَقَالُوا: فَهَلْ أَجَابَكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: لَا وَالَّذِي نَصَبَهَا بَيِّنَةً مَا فَهِمْتُ شَيْئًا مِمَّا قَالَ غَيْرَ أَنَّهُ أَنْذَرَكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ... الحديث». وهذا إسناد حسن؛ لما في الْأَجْلَحِ من خلاف وهو ممن يحسن حديثه.

(هـ)_** مخاطبة الناس بقدر علومهم وعقولهم.. ومنه قوله تعالى:{وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ,, فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ,,فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ,, فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ,, إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ,, وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ...,, وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ...,, الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ...} [الأنعام: ٧٥_ ٨٢]

_ قلت: وهذا الاستدلال لا يكون إلا لقوم على علم بالفلك وخصائص الكواكب والنجوم وإلا لكان بلا طائل, ومنه لقاء موسى بالسحرة على الملأ وإظهار معجزات عيسى عليهما السلام في الطب, وما ذاك إلا لبراعة مخالفهم في هذا!؟

_ أخرج البخاري, كِتَابُ العِلْمِ, بَابُ مَنْ خَصَّ بِالعِلْمِ قَوْمًا دُونَ قَوْمٍ، كَرَاهِيَةَ أَنْ لاَ يَفْهَمُوا (٣٧/١, ح١٢٧) قَالَ عَلِيٌّ: «حَدِّثُوا النَّاسَ، بِمَا يَعْرِفُونَ أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ، اللَّهُ وَرَسُولُهُ», وأخرج مسلم في مقدمة صحيحه(١١/١) أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ، قَالَ: «مَا أَنْتَ بِمُحَدِّثٍ قَوْمًا حَدِيثًا لَا تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ، إِلَّا كَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةً»

_ومنه استخدام المقاييس المنطقية المقبولة والمقررة عند العقول في الخطاب الحجاجي؛ قال تَعَالَى: {قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا} [الإسراء: ٤٢], إلى غير ذلك مما يطول إيراده في الباب..

- (و)_** ضرورة قبول الحق ممّنْ كان والتعاون مع الصادقين؛ كما قال تعالى {قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (٣٤) } النمل؛ قال الطبري في التفسير(٤٥٤/١٩): قالت صاحبة سبأ للملأ، إذ عرضوا عليها أنفسهم لقتال سليمان، إن أمرتهم بذلك: (إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً) عنوة وغلبة (أَفْسَدُوهَا) خرّبوها (وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً) وذلك باستعبادهم الأحرار واسترقاقهم إياهم; وتناهى الخبر منها عن الملوك في هذا الموضع فقال الله: (وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ) يقول تعالى ذكره: وكما قالت صاحبة سبأ تفعل الملوك، إذا دخلوا قرية عنوة, وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. انتهى. وفيه إقرار رب العزة سبحانه لقول امرأة غير مؤمنة لكنها قالت الحق!

- وقال تعالى: {وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ

(٢)} المائدة, وقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ} [النساء: ١٣٥] وقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ }[المائدة: ٨]

● قال الطبري في التفسير (٩٥/١٠) : يعني بذلك جل ثناؤه: يا أيها الذين آمنوا ليكن من أخلاقكم وصفاتكم القيامُ لله شهداء بالعدل في أوليائكم وأعدائكم، ...وأما قوله:{ولا يجرمنكم... } فإنه يقول: ولا يحملنكم عداوةُ قوم على ألا تعدلوا في حكمكم فيهم وسيرتكم بينهم، فتجوروا عليهم من أجل ما بينكم وبينهم من العداوة. ***

● _**وقال الله تعالى: فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: {إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا } [النساء: ١٠٥] قال الطبري في تفسيره (١٧٥/٩)... وَلَا تَكُنْ لِمَنْ خَانَ مُسْلِمًا أَوْ مُعَاهَدًا فِي نَفْسِهِ أَوْ مَالِهِ خَصِيمًا تُخَاصِمُ عَنْهُ وَتَدْفَعُ عَنْهُ مِنْ طَالَبَهُ بِحَقِّهِ الَّذِي خَانَهُ فِيهِ.

(ز)_** <u>وجوب استحضار أنّ الإسلام جاء لرفع الحرج عمن لم يبلغه الحق, وهذا يقتضي ويتطلب مزيدا من التلطف والشعور بالمسؤولية تجاه الخلق والصبر عليهم؛</u> قال تعالى: {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولا} [الإسراء: ١٥]

قال الطبري رحمه الله في تفسير (٤٠٢/١٧) يقول تعالى ذكره: وما كنا مهلكي قوم إلا بعد الإعذار إليهم بالرسل، وإقامة الحجة عليهم بالآيات التي تقطع عذرهم, ثم نقل عن قتادة قال (وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ ...): <u>إن الله تبارك وتعالى ليس يعذب أحدًا حتى يسبق إليه من الله خبر ، أو يأتيه من الله بيّنة</u>، وليس معذّبا أحدا إلا بذنبه.

_ ومنه قول تعالى: {رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ} [النساء: ١٦٥].

وقال: {يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا }[الأنعام: ١٣٠]

وقوله تعالى: {وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ} [القصص: ٥٩], والآيات في ذلك متعددة (٧).

_ وأخرج الشيخان عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ، قَالَ: قَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ: لَوْ رَأَيْتُ رَجُلًا مَعَ امْرَأَتِي لَضَرَبْتُهُ بِالسَّيْفِ غَيْرُ مُصْفِحٍ عَنْهُ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «أَتَعْجَبُونَ مِنْ

(٧) وقال تعالى {لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ} [يس: ٦], وقال: {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ} [السجدة: ٣], وقال: {وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} [القصص: ٤٦], وقال تعالى: {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ } [المائدة: ١٩], وقال: {وَسِيقَ ... حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هذا} [الزمر: ٧١], وقال: {كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ (٨) } [الملك].

غَيْرَةِ سَعْدٍ، فَوَاللهِ لَأَنَا أَغْيَرُ مِنْهُ، وَاللهُ أَغْيَرُ مِنِّي، مِنْ أَجْلِ غَيْرَةِ اللهِ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ، مَا ظَهَرَ مِنْهَا، وَمَا بَطَنَ، وَلَا شَخْصَ أَغْيَرُ مِنَ اللهِ، وَلَا شَخْصَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْعُذْرُ مِنَ اللهِ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ بَعَثَ اللهُ الْمُرْسَلِينَ، مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ»

_وأخرج مسلم, كتاب التَّوْبَةِ, بَابُ غَيْرَةِ اللهِ تَعَالَى وَتَحْرِيمِ الْفَوَاحِشِ, عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « وَلَيْسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ الْعُذْرُ مِنَ اللهِ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَنْزَلَ الْكِتَابَ وَأَرْسَلَ الرُّسُلَ»

_ وفي الموسوعة الفقهية الكويتية: وزارة الأوقاف- الكويت (٢٣٤/٤) الأصْل فِي مَشْرُوعِيَّةِ الإِعْذَارِ قَوْله تَعَالَى فِي سُورَةِ الإِسْرَاءِ: {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ...} وقَوْله فِي النَّمْل: {لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ}

وَجْهُ الاِسْتِدْلاَلِ بِالأُولَى: أَنَّ اللَّهَ لاَ يُهْلِكُ أُمَّةً بِعَذَابٍ إِلاَّ بَعْدَ الرِّسَالَةِ إِلَيْهِمْ وَالإِنْذَارِ، وَمَنْ لَمْ تَبْلُغْهُ الدَّعْوَةُ فَهُوَ غَيْرُ مُسْتَحِقٍّ لِلْعَذَابِ.

وَوَجْهُ الاِسْتِدْلاَلِ بِالثَّانِيَةِ: أَنَّ فِيهَا دَلِيلاً عَلَى أَنَّ الإِمَامَ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَقْبَلَ عُذْرَ رَعِيَّتِهِ، وَيَدْرَأَ الْعُقُوبَةَ عَنْهُمْ فِي ظَاهِرِ أَحْوَالِهِمْ بِبَاطِنِ أَعْذَارِهِمْ، لأَنَّ سُلَيْمَانَ لَمْ يُعَاقِبِ الْهُدْهُدَ حِينَ اعْتَذَرَ إِلَيْهِ. انتهى.

وقد قَالَ الْقَاضِي (عياض) رحمه الله: يُحْتَمَلُ أَنَّ الْمُرَادَ الِاعْتِذَارُ أَيْ اعْتِذَارُ الْعِبَادِ إِلَيْهِ مِنْ تَقْصِيرِهِمْ وَتَوْبَتِهِمْ مِنْ مَعَاصِيهِمْ فَيَغْفِرُ لَهُمْ. شرح النووي (٧٨/١٧).

_ قلت: وإذا دققنا النظر بين هذه الآيات مع ما سبق من أن أكثر الناس لن يؤمن وجب تفهّم وجوب قبول الحوار والتعايش مع هذا الاختلاف والتباين وأنه من سنن الله في كونه التي لن تتغير ..

والعذر بالجهل واجب الملاحظة في حق من سكن أقطار المسلين فكيف بغيرهم!؟

جاء في المحلى لابن حزم (١٣٥/١٢) وَلَا خِلَافَ فِي أَنَّ امْرَأً لَوْ أَسْلَمَ وَلَمْ يَعْلَمْ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ فَاعْتَقَدَ أَنَّ الْخَمْرَ - حَلَالٌ، وَأَنْ لَيْسَ عَلَى الْإِنْسَانِ صَلَاةٌ، وَهُوَ لَمْ يَبْلُغْهُ حُكْمُ اللَّهِ تَعَالَى لَمْ يَكُنْ كَافِرًا بِلَا خِلَافٍ يُعْتَدُّ بِهِ، حَتَّى إذَا قَامَتْ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ فَتَمَادَى حِينَئِذٍ بِإِجْمَاعِ الْأُمَّةِ فَهُوَ كَافِرٌ.

_ وقال ابن حجر الهيتمي: ومحل هذا كله في غير من قرب عهده بالإسلام أو نشأ ببادية بعيدة عن العلماء وإلا عُرّف الصواب فإن أنكر بعد ذلك كفر فيما يظهر؛ لأن إنكاره حينئذٍ فيه تضليل للأمة.(٨)

_ وقال ابن عابدين: مَنَاط التَّكْفِيرِ هُوَ التَّكْذِيبُ أَوْ الِاسْتِخْفَافُ عِنْدَ ذَلِكَ يَكُونُ أَمَّا إذَا لَمْ يَعْلَمْ فَلَا, إلَّا أَنْ يَذْكُرَ لَهُ أَهْلُ الْعِلْمِ ذَلِكَ فَيَلِجُّ اهـ.(٩)

(٨) الإعلام بقواطع الإسلام لابن حجر الهيتمي الأنصاري، شيخ الإسلام(توفى: ٩٧٤هـ): دار التقوى/ سوريا, ط: الأولى، ١٤٢٨ (ص٩٥).

_وجاء في مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٨٠/١٢) فَ " التَّكْفِيرُ " يَخْتَلِفُ بِحَسَبِ اخْتِلَافِ حَالِ الشَّخْصِ فَلَيْسَ كُلُّ مُخْطِئٍ وَلَا مُبْتَدِعٍ وَلَا جَاهِلٍ وَلَا ضَالٍّ يَكُونُ كَافِرًا؛ بَلْ وَلَا فَاسِقًا بَلْ وَلَا عَاصِيًا.

_ وجاء في الاستغاثة في الرد على البكري: [فلا يتحقق حسن الاستدلال بالأدلة، حتى يميز بين ما يدل وما لا يدل ... لا سيما إذا خاض هذا في مسألة لم يسبق إليها عالم ولا معه فيها نقل عن أحد... لكن لغلبة الجهل وقلة العلم بآثار الرسالة في كثير من المتأخرين؛ لم يمكن تكفيرهم بذلك حتى يتبيّن لهم ما جاء به الرسول مما يخالفه، ولهذا ما بيّنت هذه المسألة قط لمن يعرف أصل الدين إلا تفطن؛ وقال هذا أصل دين الإسلام، وكان بعض الأكابر من الشيوخ العارفين من أصحابنا يقول: هذا أعظم ما بيّنته لنا لعلمه بأنّ هذا أصل الدين] (١٠).

وفي مجموع الفتاوى أيضا(٣٧١/١٠_٣٧٢) وَإِنَّمَا الْمَقْصُودُ هُنَا: أَنَّ مَا ثَبَتَ قُبْحُهُ مِنْ الْمَنْهِيِّ عَنْهُ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ أَوْ الْمُخَالِفِ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ إذَا صَدَرَ عَنْ شَخْصٍ مِنْ الْأَشْخَاصِ فَقَدْ يَكُونُ عَلَى وَجْهٍ يُعْذَرُ فِيهِ؛ إمَّا لِاجْتِهَادِ أَوْ تَقْلِيدٍ يُعْذَرُ فِيهِ وَإِمَّا لِعَدَمِ قُدْرَتِهِ كَمَا قَدْ قَرَّرْته فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ وفِي أَصْلِ "التَّكْفِيرِ وَالتَّفْسِيقِ " الْمَبْنِيِّ عَلَى أَصْلِ الْوَعِيدِ؛ فَإِنَّ نُصُوصَ "الْوَعِيدِ" الَّتِي فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَنُصُوصَ الْأَئِمَّةِ بِالتَّكْفِيرِ وَالتَّفْسِيقِ وَنَحْوِ ذَلِكَ لَا يُسْتَلْزَمُ ثُبُوتُ مُوجَبِهَا فِي حَقِّ الْمُعَيَّنِ إلَّا إذَا وُجِدَتْ الشُّرُوطُ وَانْتَفَتْ الْمَوَانِعُ لَا فَرْقَ فِي ذَلِكَ بَيْنَ الْأُصُولِ وَالْفُرُوعِ... فَإِنَّ جِهَادَ الْكُفَّارِ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ مَسْبُوقًا بِدَعْوَتِهِمْ؛ إذْ لَا عَذَابَ إلَّا عَلَى مَنْ بَلَغَتْهُ الرِّسَالَةُ وَكَذَلِكَ عُقُوبَةُ الْفُسَّاقِ لَا تَثْبُتُ إلَّا بَعْدَ قِيَامِ الْحُجَّةِ.

_ والعذر بالجهل مشهورٌ معمولٌ به في الشرائع السابقة حتى فيما يتعلق بمسائل التوحيد:

_ جاء في تفسير البغوي (المتوفى: ٥١٠هـ): دار طيبة, ط: الرابعة، ١٤١٧ - ١٩٩٧ (٢٤٧/٣) وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ شَكًّا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي وَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ، وَإِنَّمَا مَعْنَاهُ: اجْعَلْ لَنَا شَيْئًا نُعَظِّمُهُ وَنَتَقَرَّبُ بِتَعْظِيمِهِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَظَنُّوا أَنَّ ذَلِكَ لَا يَضُرُّ الدِّيَانَةَ وَكَانَ ذَلِكَ لِشِدَّةِ جَهْلِهِمْ. {قَالَ} مُوسَى {إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ} عَظَمَةَ اللَّهِ.

_وأخرج مسلم, بَابٌ فِي الْحَضِّ عَلَى التَّوْبَةِ وَالْفَرَحِ بِهَا, عَنِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ، مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضٍ فَلَاةٍ، فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَأَيِسَ مِنْهَا، فَأَتَى شَجَرَةً، فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا، قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا، قَائِمَةً عِنْدَهُ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ»

(٩) رد المحتار لابن عابدين محمد أمين بن عمر الدمشقي الحنفي (المتوفى: ١٢٥٢هـ): دار الفكر-بيروت, ط: الثانية، ١٤١٢- (٢٢٣/٤).

(١٠) الاستغاثة في الرد على البكري لابن تيمية (المتوفى: ٧٢٨ هـ) دراسة: د. عبد الله بن دجين السهلي: رسالة ماجستير- قسم الثقافة الإسلامية بكلية التربية بجامعة الملك سعود: دار المنهاج ، الرياض– السعودية, ط: الأولى، ١٤٢٦ هـ (٤١١_٤١٢).

_جاء في فتح الباري (١٠٨/١١) قَالَ عِيَاضٌ: فِيهِ أَنَّ مَا قَالَهُ الْإِنْسَانُ مِنْ مِثْلِ هَذَا فِي حَالِ دَهْشَتِه وَذُهُولِه لَا يُؤَاخَذُ بِه, وَكَذَا حِكَايَتُهُ عَنْهُ عَلَى طَرِيقِ عِلْمِيّ وَفَائِدَةٍ شَرْعِيَّةٍ لَا عَلَى الْهَزْلِ وَالْمُحَاكَاةِ وَالْعَبَثِ, وَالله أعْلَم.

_ وفي إعلام الموقعين لابن قيم [الْعِبْرَةُ بِالْقَصْدِ لَا بِالْأَلْفَاظِ] وَمَنْ تَدَبَّرَ مَصَادِرَ الشَّرْعِ تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّ الشَّارِعَ أَلْغَى الْأَلْفَاظَ الَّتِي لَمْ يَقْصِدْ الْمُتَكَلِّمُ بِهَا مَعَانِيَهَا، بَلْ جَرَتْ عَلَى غَيْرِ قَصْدٍ مِنْهُ كَالنَّائِمِ وَالْجَاهِلِ وَالْمُكْرَهِ وَالْمُخْطِئِ... .(١١)

_ ومنه حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «كَانَ رَجُلٌ يُسْرِفُ عَلَى نَفْسِهِ فَلَمَّا حَضَرَهُ المَوْتُ قَالَ لِبَنِيهِ: إِذَا أَنَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي، ثُمَّ اطْحَنُونِي، ثُمَّ ذَرُّونِي فِي الرِّيحِ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ قَدَرَ عَلَيَّ رَبِّي لَيُعَذِّبَنِّي عَذَابًا مَا عَذَّبَهُ أَحَدًا، فَلَمَّا مَاتَ فُعِلَ بِهِ ذَلِكَ، فَأَمَرَ اللَّهُ الأَرْضَ فَقَالَ: اجْمَعِي مَا فِيكِ مِنْهُ، فَفَعَلَتْ، فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ، فَقَالَ: مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟ قَالَ: يَا رَبِّ خَشْيَتُكَ، فَغَفَرَ لَهُ» متفق عليه, سياق البخاري.

وفي فتح الباري (٥٢٢/٦) قَالَ الْخَطَّابِيُّ: قَدْ يُسْتَشْكَلُ هَذَا فَيُقَالُ كَيْفَ يُغْفَرُ لَهُ وَهُوَ مُنْكِرٌ لِلْبَعْثِ وَالْقُدْرَةِ عَلَى إِحْيَاءِ الْمَوْتَى!؟ وَالْجَوَابُ: أَنَّهُ لَمْ يُنْكِرِ الْبَعْثَ وَإِنَّمَا جَهِلَ فَظَنَّ أَنَّهُ إِذَا فُعِلَ بِهِ ذَلِكَ لَا يُعَادُ فَلَا يُعَذَّبُ وَقَدْ ظَهَرَ إِيمَانُهُ بِاعْتِرَافِهِ بِأَنَّهُ إِنَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ, قَالَ ابن قُتَيْبَةَ: قَدْ يَغْلَطُ فِي بَعْضِ الصِّفَاتِ قَوْمٌ من الْمُسلمين فَلَا يكفرون بذلك... وَلَعَلَّ هَذَا قَالَ ذَلِكَ مِنْ شِدَّةِ جَزَعِه وَخَوْفِه كَمَا غَلِطَ من قَالَ: أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ, أَوْ يَكُونُ (قَدَرَ) بِتَشْدِيدِ الدَّالِ أَيْ قَدَّرَ عَلَيَّ أَنْ يُعَذِّبَنِي لَيُعَذِّبَنِي, أَوْ عَلَى أَنَّهُ كَانَ مُثْبِتًا لِلصَّانِعِ وَكَانَ فِي زَمَنِ الْفَتْرَةِ فَلَمْ تَبْلُغْهُ شَرَائِطُ الْإِيمَانِ, وَأَظْهَرُ الْأَقْوَالِ أَنَّهُ قَالَ ذَلِكَ فِي حَالِ دَهْشَتِه وَغَلَبَةِ الْخَوْفِ وَلَمْ يَقُلْهُ قَاصِدًا لِحَقِيقَةِ مَعْنَاهُ بَلْ فِي حَالَةٍ الَّذِي لَا يُؤَاخَذُ بِمَا يَصْدُرُ مِنْهُ.

_ والشاهد ظاهر.. وهو التنصيص على عذره بالجهل إن كان جاهلا بمدلول ما قال, كما في بداية جوابه!!

_** ويجب التنبيه على أنّ هذا ليس تصويبا لفعلهم؛ بل بيان لعذرهم ومدى عدل الشارع وحكمته في المؤاخذة والمجازاة :

ففي البحر المحيط للزركشي(٢٧٩/٨) وَمَا نَسَبَهُ لِلْغَزَالِيِّ غَلَطٌ عَلَيْهِ، فَقَدْ صَرَّحَ بِفَسَادِ مَذْهَبِ الْعَنْبَرِيِّ، كَمَا سَبَقَ عَنْهُ، وَهُوَ بَرِيءٌ مِنْ هَذِهِ الْمَقَالَةِ وَالَّذِي أَشَارَ إلَيْهِ فِي كِتَابِ " التَّفْرِقَةِ " هُوَ قَوْلُهُ: إنَّ مَنْ لَمْ تَبْلُغْهُ الدَّعْوَةُ مِنْ نَصَارَى الرُّومِ أَوْ التُّرْكِ أَنَّهُمْ مَعْذُورُونَ، وَلَيْسَ فِيهِ تَصْوِيبُهُمْ، وَالْكَلَامُ إنَّمَا هُوَ فِيمَنْ بَلَغَتْهُ الدَّعْوَةُ وَعَانَدَ.

_ وفي الوَاضِح في أصُولِ الفِقه: لأبي الوفاء ابن عقيل: ومثال الثالث من الأصول، وهو التَعْلِيليُّ، كقولك: إنما لم يُعاقِب اللهُ من لم تَبْلُغْه الدعوةُ؛ لأنه لم يَتَجِهْ نحوه خِطاب على أصل أهل ألسنة، مع كونهم ذَوِي عقولٍ تنهاهُم عن عبادةِ الصُوَرِ

(١١)إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ): دار الكتب العلمية – بيروت, ط: الأولى، ١٤١١- ١٩٩١م (٧٨/٣).

والحجارةِ المُشكَلَةِ، لعلةٍ هي عدمُ البلاغ بدليلِ قوله: { وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ ...} [الإسراء: ١٥].[١٢]

_ وفي أسنى المطالب لزكريا الأنصاري (المتوفى: ٩٢٦هـ): (وَيَحْرُمُ قَتْلُ مَنْ لَمْ تَبْلُغْهُ الدَّعْوَةُ) أَيْ دَعْوَةُ نَبِيٍّ لِعُذْرِهِ.[١٣]

_ وفي البحر المديد في تفسير القرآن المجيد لابن عجيبة الحسني الفاسي (المتوفى: ١٢٢٤هـ) (١٨٨/٣): «ومن كمال عدله تعالى: أنه لا يُعذِّب حتى يُنذر ويُعذر على ألسنة الرسل، كما قال تعالى: وَما كُنَّا مُعَذِّبِينَ أحدا في الدنيا ولا في الآخرة حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا يُبين الحجج، ويمهد الشرائع، ويلزمهم الحجة. وفيه دليل على أنَّ لا حُكم قبل الشرع، بل الأمر موقوف إلى وروده، فمن بلغته دعوته، وخالف أمره، واستكبر عن أتباعه، عذبناه بما يستحقه».

_ والشاهد عذر أكثر الناس ممن يخضعون للأنظمة الفاسدة ولا يستطيعون تمييز الحق من الباطل إلا بعد جهد من هدم إيوان الظلم ورفع راية الحق ومجادلتهم بالتي هي أحسن ثم يترك كل امرئ إلى عقله وقراره.

(ح)_** مكافأة المحسن إذا أحسن للمسلمين أيًّا كان؛ قال الله تعالى: {لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} [الممتحنة: ٨] .

(ط)_** أهل الحق حريصون على التواصل والحوار من أجل توضيح الحق وأداء الأمانة التي كُلّفوا بتبليغها:

عَنْ أَبِي وَائِلٍ قَالَ: كُنَّا بِصِفّينَ، فَقَامَ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ[١٤]، فَقَالَ: إِنَّا كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الحُدَيْبِيَةِ وَلَوْ نَرَى قِتَالًا لَقَاتَلْنَا ...فَنَزَلَتْ سُورَةُ الفَتْحِ فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى عُمَرَ إِلَى آخِرِهَا، فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوَفَتْحٌ هُوَ؟ قَالَ: «نَعَمْ»[١٥].. وعَنْ أَنَس بْن مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ{إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا}

(١٢) الوَاضِح في أصُولِ الفِقه: لأبي الوفاء، ابن عقيل البغدادي الظفري، (المتوفى: ٥١٣هـ): مؤسسة الرسالة، بيروت - ط: الأولى، ١٤٢٠ (١٤٠/١).

(١٣) أسنى المطالب في شرح روض الطالب: زكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري، السنيكي (المتوفى: ٩٢٦هـ): دار الكتاب الإسلامي: بدون (٤٨/٤).

(١٤) «سهل بن حنيف الأنصاريّ من السّابقين شهد المشاهد كلّها، مات سنة ثمان وثلاثين» الإصابة ابن حجر (١٦٥/٣, ٣٥٤٠).

(١٥) البخاري, كِتَابُ الجِزْيَةِ, بَابٌ (١٠٣/٤ , ح ٣١٨٢): فَجَاءَ عُمَرُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَسْنَا عَلَى الحَقِّ وَهُمْ عَلَى البَاطِلِ؟، قَالَ: فَعَلاَمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا، أَنَرْجِعُ وَلَمَّا يَحْكُمِ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ؟ فَقَالَ: «يَا ابْنَ الخَطَّابِ، إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ، وَلَنْ يُضَيِّعَنِي اللَّهُ أَبَدًا», مسلم, كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ, بَابُ صُلْحِ الْحُدَيْبِيَةِ (١٤١١/٣, ح ٩٤ (١٧٨٥)... أَوْ فَتْحٌ هُو؟ قَالَ: «نَعَمْ» فَطَابَتْ نَفْسُهُ وَرَجَعَ».

مَرْجِعَهُ مِنَ الْحُدَيْبِيَةِ، وَهُمْ يُخَالِطُهُمُ الْحُزْنُ وَالْكَآبَةُ، وَقَدْ نَحَرَ الْهَدْيَ بِالْحُدَيْبِيَةِ، فَقَالَ: «لَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آيَةٌ هِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا جَمِيعًا»(١٦)

_** قال ابن حجر: (قَوْلُهُ وَنَحْنُ نَعُدُّ الْفَتْحَ بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ) هَذَا مَوْضِعٌ وَقَعَ فِيهِ اخْتِلَافٌ قَدِيمٌ, وَالتَّحْقِيقُ أَنه يختلف ذَلِك بِاخْتِلَافِ الْمُرَادِ مِنَ الْآيَاتِ؛ فَقَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّا فتحنا لَك فتحا مُبينًا} الْمُرَادُ بِالْفَتْحِ هُنَا الْحُدَيْبِيَةُ لِأَنَّهَا كَانَتْ مَبْدَأَ الْفَتْحِ الْمُبِينِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ؛ لِمَا تَرَتَّبَ عَلَى الصُّلْحِ الَّذِي وَقَعَ مِنْهُ الْأَمْنُ وَرَفْعُ الْحَرْبِ وَتَمَكُّنِ مَنْ يَخْشَى الدُّخُولَ فِي الْإِسْلَامِ وَالْوُصُولَ إِلَى الْمَدِينَةِ ...ثُمَّ تَبِعَتِ الْأَسْبَابُ بَعْضُهَا بَعْضًا إِلَى أَنْ كَمُلَ الْفَتْحُ, وَقد ذكر ابن إِسْحَاقَ فِي الْمَغَازِي عَنِ الزُّهْرِيِّ(١٧) قَالَ:لَمْ يَكُنْ فِي الْإِسْلَامِ فَتْحٌ قَبْلَ فَتْحِ الْحُدَيْبِيَةِ أعظم منْهُ إِنَّمَا كَانَ الْكُفْرُ حَيْثُ الْقِتَالِ فَلَمَّا أَمِنَ النَّاسُ كُلُّهُمْ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَتَفَاوَضُوا فِي الْحَدِيثِ وَالْمُنَازَعَةِ وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ فِي الْإِسْلَامِ يَعْقِلُ شَيْئًا إِلَّا بَادَرَ إِلَى الدُّخُولِ فيه فَلَقَدْ دَخَلَ فِي تِلْكَ السَّنَتَيْنِ مِثْلُ مَنْ كَانَ دَخَلَ فِي الْإِسْلَامِ قَبْلَ ذَلِكَ أَوْ أَكْثَرُ, قَالَ ابن هِشَام: وَيدل عَلَيْهِ أَنَّهُ ﷺ خَرَجَ فِي الْحُدَيْبِيَةِ فِي أَلْفٍ وَأَرْبَعمِائَةٍ ثُمَّ خَرَجَ بعد سِنِين إِلَى فَتْحِ مَكَّةَ فِي عَشَرَةِ آلَافٍ انْتَهَى.»(١٨)

---

(١٦) مسلم, كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ, بَابُ صُلْحِ الْحُدَيْبِيَةِ فِي الْحُدَيْبِيَةِ (٣/١٤١٣ , ح ٩٧ - (١٧٨٦), وأخرج البخاري, كِتَابُ المَغَازِي, بَابُ غَزْوَةِ الحُدَيْبِيَةِ (٥/١٢٢, ح ٤١٥٠) عَنِ البَرَاءِ رضي الله عنه قَالَ: «تَعُدُّونَ أَنْتُمُ الفَتْحَ فَتْحَ مَكَّةَ، وَنَحْنُ نَعُدُّ الفَتْحَ بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ يَوْمَ الحُدَيْبِيَةِ».

(١٧) أخرج البيهقي في الصغير, بَابُ الْمُهَادَنَةِ عَلَى النَّظَرِ لِلْمُسْلِمِينَ (٤/١٢, ح ٢٩٥٣ – من طريق يُونُس بْن بُكَيْرٍ، عَن ابْنِ إِسْحَاقَ، حَدَّثَنِي الزُّهْرِيُّ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ وَالْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ أَنَّهُمَا حَدَّثَاهُ جَمِيعًا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ يُرِيدُ زِيَارَةَ الْبَيْتِ وَلَا يُرِيدُ حَرْبًا، فَذَكَرَ الْحَدِيثَ فِي مَسِيرِهِ وَنُزُولِهِ بِالْحُدَيْبِيَةِ«... حَتَّى وَقَعَ الصُّلْحُ عَلَى أَنْ تُوضَعَ الْحَرْبُ بَيْنَهُمَا عَشْرَ سِنِينَ، وَأَنْ يَأْمَنَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ» وَفِيهِ مُدْرَجًا: ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَاجِعًا... نَزَلَتْ عَلَيْهِ سُورَةُ الْفَتْحِ، فَلَمَّا آمَنَ النَّاسُ وَتَفَاوَضُوا لَمْ يُكَلِّمْ أَحَدًا بِالْإِسْلَامِ إِلَّا دَخَلَ فِيهِ، لَقَدْ دَخَلَ فِي تِلْكَ السَّنَتَيْنِ فِي الْإِسْلَامِ أَكْثَرُ مِمَّا كَانَ قَبْلَ ذَلِكَ، وَكَانَ صُلْحُ الْحُدَيْبِيَةِ فَتْحًا عَظِيمًا».

_** يونس بن بُكَيْرٍ : صدوق .. تقدم . _** ابن إسحاق: إمام ثقة, تقدم . _** عروة بن الزبير: إمام ثقة, تقدم .

(١٨) أخرج الحاكم (٢/١٤٣ , ح ٢٥٩٣ - عَنْ مُجَمِّعِ بْنِ جَارِيَةَ قَالَ: شَهِدْنَا الْحُدَيْبِيَةَ ... فَلَمَّا انْصَرَفْنَا...قَرَأَ عَلَيْهِمْ {إِنَّا فَتَحْنَا...} فَقَالَ رَجُلٌ: أَفْتَحٌ هُوَ؟ قَالَ: «نَعَمْ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّهُ لَفَتْحٌ» «هَذَا حَدِيثٌ كَبِيرٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ» [وقال الذهبي: صحيح.

_ والبيهقي في دلائل النبوة(٤/١٦٠_) عَنْ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ وابْنِ شِهَابٍ وعُرْوَةَ قَالُوا: وَأَقْبَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الْحُدَيْبِيَةِ رَاجِعًا، فَقَالَ رِجَالٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ: مَا هَذَا بِفَتْحٍ؛ لَقَدْ صُدِدْنَا عَنِ الْبَيْتِ وَصُدَّ هَدْيُنَا وَعَكَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالْحُدَيْبِيَةِ وَرَدّ رَسُولِ اللهِ ﷺ رَجُلَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَرَجَا، فَبَلَغَ رَسُولَ اللهِ ﷺ ذلك، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: بِئْسَ الْكَلَامُ! هَذَا أَعْظَمُ الْفَتْحِ، لَقَدْ رَضِيَ الْمُشْرِكُونَ أَنْ يَدْفَعُوكُمْ بِالرَّاحِ عَنْ بِلَادِهِمْ وَيَسْأَلُونَكُمُ الْقَضِيَّةَ وَيَرْغَبُونَ إِلَيْكُمْ فِي الْأَمَانِ، وَقَدْ رَأَوْا مِنْكُمْ مَا كَرِهُوا وَقَدْ أَظْفَرَكُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِمْ، وَرَدَّكُمْ سَالِمِينَ غَانِمِينَ مَأْجُورِينَ، فَهَذَا أَعْظَمُ الْفُتُوحِ، أَنَسِيتُمْ يَوْمَ أُحُدٍ إِذْ

(ي)_** عدم الإساءة إلى رموز الآخرين : قال الله تعالى: {وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٠٨) } الأنعام .

قال الطبري في التفسير (٣٣/١٢): يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ وللمؤمنين به: ولا تسبُّوا الذين يدعو المشركون من دون الله من الآلهة والأنداد، فيسبَّ المشركون اللهَ جهلا منهم بربهم، واعتداءً بغير علم، كما: قال ابن عباس: قالوا: يا محمد، لتنتهين عن سبِّ آلهتنا، أو لَنَهجُوَنَّ ربَّكَ! فنهاهم الله أن يسبوا أوثانهم، فيسبوا الله عدوًا بغير علم.، وقال قتادة: كان المسلمون يسبون أوثان الكفار، فيردّون ذلك عليهم، فنهاهم الله أن يستسِبُّوا لربهم؛ فإنهم قومٌ جهلة لا علم لهم بالله.

قال السدي: لما حضر أبا طالب الموتُ، قالت قريش: انطلقوا بنا فلندخل على هذا الرجل، فلنأمره أن ينهى عنا ابن أخيه، فإنا نستحي أن نقتله بعد موته، فتقول العرب:"كان يمنعه فلما مات قتلوه"! فانطلق أبو سفيان، وأبو جهل، والنضر بن الحارث، وأمية وأبيّ ابنا خلف، وعقبة بن أبي معيط، وعمرو بن العاص، والأسود بن البختري، وبعثوا رجلا منهم يقال له:"المطلب"، قالوا: استأذن على أبي طالب! فأتى أبا طالب فقال: هؤلاء مشيخة قومك يريدون الدخولَ عليك! فأذن لهم، فدخلوا عليه فقالوا: يا أبا طالب، أنت كبيرنا وسيدنا، وإنّ محمدًا قد آذانا وآذى آلهتنا، فنحبّ أن تدعوه فتنهاهُ عن ذكر آلهتنا، ولندَعْه وإلهه! فدعاه، فجاء نبي الله ﷺ، فقال له أبو طالب: هؤلاء قومك وبنو عمك! قال رسول الله ﷺ: ما تريدون؟ قالوا: نريد أن تدعنا وآلهتنا، وندعك وإلهك! قال له أبو طالب: قد أنصفك قومك، فاقبل منهم! فقال النبي ﷺ :"أرأيتم إن أعطيتكم هذا، هل أنتم معطيَّ كلمة إن تكلمتم بها ملكتم العرب، ودانت لكم بها العجم، وأدَّت لكم الخراج؟ قال أبو جهل: نعم وأبيك، لنعطينكها وعشرَ أمثالها، فما هي؟ قال: قولوا:"لا إله إلا الله"! فأبوا واشمأزُّوا. قال أبو طالب: يابن أخي، قل غيرها، فإن قومك قد فزعوا منها! قال: يا عم، ما أنا بالذي أقول غيرها حتى يأتوني بالشمس فيضعوها في يديّ، ولو أتوني بالشمس فوضعوها في يديّ ما قلت غيرها! إرادةَ أن يُؤْيسهم، فغضبوا وقالوا: لتكفّنَّ عن شتمك آلهتنا، أو لنشتمنك ولنشتمن من يأمرك. فذلك قوله (فيسبوا الله عدوًا بغير علم) .

وقال قتادة: كان المسلمون يسبون أصنام الكفار، فيسب الكفار الله عدوًا بغير علم، فأنزل الله: (ولا تسبوا ...) ».

_** عدم إثارة الفتن بإهانة رموز الآخرين خاصة ممن يجمعهم بالمسلمين بعض الصفات :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: اسْتَبَّ رَجُلاَنِ رَجُلٌ مِنَ المُسْلِمِينَ وَرَجُلٌ مِنَ اليَهُودِ، قَالَ المُسْلِمُ: وَالَّذِي اصْطَفَى مُحَمَّدًا عَلَى العَالَمِينَ، فَقَالَ اليَهُودِيُّ: وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَى العَالَمِينَ، فَرَفَعَ المُسْلِمُ يَدَهُ عِنْدَ ذَلِكَ، فَلَطَمَ وَجْهَ اليَهُودِيِّ، فَذَهَبَ اليَهُودِيُّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ،

تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ، وَأَنَا أَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ، أَنَسِيتُمْ يَوْمَ الْأَحْزَابِ إِذْ جاؤُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَإِذْ زاغَتِ الْأَبْصارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَناجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا؟ قَالَ الْمُسْلِمُونَ: صَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ، هُوَ أَعْظَمُ الْفُتُوحِ، واللهِ يَا نَبِيَّ اللهِ مَا فَكَّرْنَا فِيمَا فَكَّرْتَ فِيهِ، وَلَأَنْتَ أَعْلَمُ بِاللهِ- عَزَّ وَجَلَّ، وَبِالْأُمُورِ مِنَّا، وَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ سُورَةَ الْفَتْحِ].

فَأَخْبَرَهُ بِمَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ، وَأَمْرِ الْمُسْلِمِ، فَدَعَا النَّبِيُّ ﷺ الْمُسْلِمَ، فَسَأَلَهُ عَنْ ذَلِكَ، فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لاَ تُخَيِّرُونِي عَلَى مُوسَى، فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَأَصْعَقُ مَعَهُمْ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ، فَإِذَا مُوسَى بَاطِشٌ جَانِبَ العَرْشِ، فَلاَ أَدْرِي أَكَانَ فِيمَنْ صَعِقَ، فَأَفَاقَ قَبْلِي أَوْ كَانَ مِمَّنِ اسْتَثْنَى اللَّهُ»

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ ﷺ قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ جَاءَ يَهُودِيٌّ، فَقَالَ: يَا أَبَا القَاسِمِ ضَرَبَ وَجْهِي رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِكَ من الأنصار، قَالَ: «ادْعُوهُ»، فَقَالَ: «أَضَرَبْتَهُ؟»، قَالَ: سَمِعْتُهُ بِالسُّوقِ يَحْلِفُ: وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَى البَشَرِ، قُلْتُ: أَيْ خَبِيثُ، عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ، فَأَخَذَتْنِي غَضْبَةٌ ضَرَبْتُ وَجْهَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لاَ تُخَيِّرُوا بَيْنَ الأَنْبِيَاءِ ...»[١٩] .

_ قال ابن حجر في فتح الباري (٤٤٦/٦): قَالَ الْعُلَمَاءُ: إِنَّمَا نَهَى عَنْ ذَلِكَ مَنْ يَقُولُهُ بِرَأْيِهِ لَا مَنْ يَقُولُهُ بِدَلِيلٍ أَوْ مَنْ يَقُولُهُ بِحَيْثُ يُؤَدِّي إِلَى تَنْقِيصِ الْمَفْضُولِ أَوْ يُؤَدِّي إِلَى الْخُصُومَةِ وَالتَّنَازُعِ... .

_ ومن أصرح ما ورد في الباب ما أخرجه الترمذي, أَبْوَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ, بَابٌ: وَمِنْ سُورَةِ الرُّومِ (٣٤٤/٥, ح ٣١٩٤ - عَنْ نِيَارِ بْنِ مُكْرَمٍ الأَسْلَمِيِّ، قَالَ: " لَمَّا نَزَلَتْ {الم غُلِبَتِ الرُّومُ ...} [الروم: ٢] فَكَانَتْ فَارِسُ يَوْمَ نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ قَاهِرِينَ لِلرُّومِ، وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ يُحِبُّونَ ظُهُورَ الرُّومِ عَلَيْهِمْ لأَنَّهُمْ وَإِيَّاهُمْ أَهْلُ كِتَابٍ، وَفِي ذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: {وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ} [الروم: ٤] فَكَانَتْ قُرَيْشٌ تُحِبُّ ظُهُورَ فَارِسَ لأَنَّهُمْ وَإِيَّاهُمْ لَيْسُوا بِأَهْلِ كِتَابٍ وَلَا إِيمَانٍ بِبَعْثٍ... وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ مِنْ حَدِيثِ نِيَارٍ»

_ قلت: وفيه الاهتمام بالعوامل المساعدة على التعايش وتقديمها على غيرها مع الإقرار بالاختلاف, ولا شك أنّ أكثرَ الأمم تجمع بين ديانات وأعراق شتى, ومن ثم فالتيقظ لعوامل نشوب الفتن أولى, ولنا في النبي ﷺ والأئمة الأسوة!

_ *أخرج الطبري في التفسير(٤٠٣/٢٣, حدثني أحمد بن منصور الرمادي قال: ثنا إبراهيم بن الحكم قال: ثني أبي عن عكرمة أن عبد الله بن عبد الله بن أُبيّ بن سلول كان يقال له حباب، فسماه رسول الله ﷺ عبد الله، فقال: يا رسول الله إن والدي يؤذي الله ورسوله، فذرني حتى أقتله، فقال له رسول الله ﷺ: «لا تَقْتُلْ أبَاكَ عَبْدَ اللهِ»، ثم جاء أيضًا فقال: يا رسول الله إن والدي يؤذي الله ورسوله، فذرني حتى أقتله، فقال له رسول الله ﷺ: لا تَقْتُلْ أباك»، فقال: يا رسول الله فتوضأ حتى أسقيه من وضوئك لعلّ قلبه أن يلين، فتوضأ رسول الله ﷺ فأعطاه، فذهب به إلى أبيه فسقاه، ثم قال له: هل تدري ما سقيتك؟ فقال له والده نعم، سقيتني بول أمك، فقال له ابنه: لا والله، ولكن سقيتك وضوء رسول الله ﷺ؛ قال عكرمة: وكان عبد الله بن أُبيّ عظيم الشأن فيهم. وفيهم أنزلت هذه الآية في المنافقين: (هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا) وهو الذي قال: (لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ) قال: فلما بلغوا المدينة، مدينة الرسول ﷺ ومن معه، أخذ ابنه السيف، ثم قال لوالده: أنت تزعم «لئن رجعنا إلى المدينة

(١٩)البخاري, كِتَاب الخُصُومَاتِ, بَابُ مَا يُذْكَرُ فِي الإِشْخَاصِ وَالخُصُومَةِ بَيْنَ المُسْلِمِ وَاليَهُودِ (١٢٠/٣, ح ٢٤١١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ, والآخر و(١٢١/٣, ح ٢٤١٢ - عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ, رضي الله عنهما, بإثره.

ليخرجنّ الأعز منها الأذلّ» فوالله لا تدخلها حتى يأذن لك رسول الله ﷺ. » وقد ضعّف الأئمة إبراهيم بن الحكم.

_أخرج البخاري, كِتَابُ تَفْسِيرِ القُرْآنِ, بَابُ قَوْلِهِ: {سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ...} [المنافقون: ٦] (١٥٤/٦, ح ٤٩٠٥ – عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كُنَّا فِي غَزَاةٍ- فَكَسَعَ رَجُلٌ مِنَ المُهَاجِرِينَ، رَجُلًا مِنَ الأَنْصَارِ، فَقَالَ الأَنْصَارِيُّ: يَا لَلْأَنْصَارِ، وَقَالَ المُهَاجِرِيُّ: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ، فَسَمِعَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «مَا بَالُ دَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ» ...: «دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ» فَسَمِعَ بِذَلِكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ، فَقَالَ: فَعَلُوهَا، أَمَا وَاللَّهِ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ، فَبَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَامَ عُمَرُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا المُنَافِقِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «دَعْهُ، لاَ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ».

_ والبخاري, كِتَابُ المَنَاقِبِ, بَابُ عَلاَمَاتِ النُّبُوَّةِ فِي الإِسْلاَمِ (٢٠٠/٤, ح ٣٦١٠ - عَن أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَقْسِمُ قِسْمًا، أَتَاهُ ذُو الخُوَيْصِرَةِ، رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اعْدِلْ، فَقَالَ: «وَيْلَكَ، وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ، قَدْ خِبْتَ وَخَسِرْتَ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ» . فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائْذَنْ لِي فِيهِ فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ؟ فَقَالَ: «دَعْهُ، فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلاَتَهُ مَعَ صَلاَتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَقْرَءُونَ القُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ...»

_ قال الماوردي في أعلام النبوة, دار الهلال – بيروت, ط: الأول- ١٤٠٩ (ص١١٩) نوع آخر من أعلامه ﷺ: «أنه نزل بجيشه في تبوك على غير ماء وهم نحو ثلاثين ألفا فعطشوا وشكوا ذلك إليه فبعث أبا قتادة وأبا طلحة ... وسعد بن عبادة يلتمسون الماء فغابوا إلى قائم الظهيرة ثم رجعوا ولم يجدوا شيئا، وبلغ العطش من الناس والخيل والدواب، فصلى بأصحابه متيمما، فلما فرغ شكوا إليه العطش فبعث أسيد بن حضير وأسامة يلتمسون الماء من الأعراب، فقال المنافقون: أن محمدا يخبر بأخبار السماء وهو لا يدري الطريق إلى الماء، فأتاه جبريل عليه السلام فأخبره بقولهم وسماهم له، فشكى ذلك إلى سعد بن عبادة فقال سعد: إن شئت ضربت أعناقهم، فقال: «لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه ولكن نحسن صحبتهم ما أقاموا معنا»

قلت: هذا عظم ما أقدموا عليه وما أعلمه الله تعالى من حالهم وسوء عاقبتهم مستقبلا وشدة ضررهم على مخالطهم.

_** أخرج البخاري, كِتَابُ الجِهَادِ وَالسِّيَرِ, بَابُ الدُّعَاءِ لِلْمُشْرِكِينَ بِالهُدَى لِيَتَأَلَّفَهُمْ «(٤٤/٤, ح٢٩٣٧ – عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَدِمَ طُفَيْلُ الدَّوْسِيُّ وَأَصْحَابُهُ، عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ دَوْسًا عَصَتْ وَأَبَتْ، فَادْعُ اللَّهَ عَلَيْهَا، فَقِيلَ: هَلَكَتْ دَوْسٌ، قَالَ: «اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا وَأْتِ بِهِمْ».

- وأخرج البخاري , كِتَابُ أَحَادِيثِ الأَنْبِيَاءِ, بَابُ حَدِيثِ الغَارِ: «(١٧٥/٤, ح ٣٤٧٧ – عن شَقِيق، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الأَنْبِيَاءِ، ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فَأَدْمَوْهُ، وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ» وكذا أخرجه مسلم, كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ, بَابُ غَزْوَةِ أُحُدٍ (١٤١٧/٣, ح ١٠٥ - (١٧٩٢)».

● *** *** ***

_** اليقين بانحراف المخالف لا يعني إكراهه على الدين والعنت معه أواجتنابه إلا لضرورة:

_ أخرج أحمد (١١٩/٣٢, ح ١٩٣٧٨ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَدِيّ، عَنِ ابْنِ عَوْنٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ، عَنِ ابْنِ حُذَيْفَةَ قَالَ: كُنْتُ أُحَدِّثُ حَدِيثًا عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ فَقُلْتُ: هَذَا عَدِيٌّ فِي نَاحِيَةِ الْكُوفَةِ فَلَوْ أَتَيْتُهُ فَكُنْتُ أَنَا الَّذِي أَسْمَعُهُ مِنْهُ، فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: إِنِّي كُنْتُ أُحَدِّثُ عَنْكَ حَدِيثًا، فَأَرَدْتُ أَنْ أَكُونَ أَنَا الَّذِي أَسْمَعُهُ مِنْكَ قَالَ: لَمَّا بَعَثَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ النَّبِيَّ ﷺ فَرَرْتُ مِنْهُ، حَتَّى كُنْتُ فِي أَقْصَى أَرْضِ الْمُسْلِمِينَ، مِمَّا يَلِي الرُّومَ، قَالَ: فَكَرِهْتُ مَكَانِي الَّذِي أَنَا فِيهِ، حَتَّى كُنْتُ لَهُ أَشَدَّ كَرَاهِيَةً لَهُ مِنِّي مِنْ حَيْثُ جِئْتُ، قَالَ: قُلْتُ: لَآتِيَنَّ هَذَا الرَّجُلَ، فَوَاللهِ لَئِنْ كَانَ صَادِقًا، فَلَأَسْمَعَنَّ مِنْهُ، وَلَئِنْ كَانَ كَاذِبًا، مَا هُوَ بِضَائِرِي. قَالَ: فَأَتَيْتُهُ، وَاسْتَشْرَفَنِي النَّاسُ، وَقَالُوا: عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ قَالَ: أَظُنُّهُ قَالَ ثَلَاثَ مِرَارٍ. قَالَ: فَقَالَ لِي : «يَا عَدِيُّ بْنَ حَاتِمٍ أَسْلِمْ تَسْلَمْ» قَالَ: قُلْتُ: إِنِّي مِنْ أَهْلِ دِينٍ. قَالَ: «يَا عَدِيُّ بْنَ حَاتِمٍ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ» قَالَ: قُلْتُ: إِنِّي مِنْ أَهْلِ دِينٍ. قَالَهَا ثَلَاثًا. قَالَ: «أَنَا أَعْلَمُ بِدِينِكَ مِنْكَ»، قَالَ: قُلْتُ: أَنْتَ أَعْلَمُ بِدِينِي مِنِّي؟ قَالَ: «نَعَمْ» قَالَ: «أَلَيْسَ تَرْأَسُ قَوْمَكَ؟ » قَالَ: قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: فَذَكَرَ مُحَمَّدٌ الرَّكُوسِيَّةَ، قَالَ كَلِمَةً الْتَمَسَهَا يُقِيمُهَا، فَتَرَكَهَا قَالَ: «فَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ فِي دِينِكَ الْمِرْبَاعُ»، قَالَ: فَلَمَّا قَالَهَا، تَوَاضَعَتْ مِنِّي هُنَيَّةً، قَالَ: وَقَالَ: «إِنِّي قَدْ أَرَى أَنَّ مِمَّا يَمْنَعُكَ خَصَاصَةٌ تَرَاهَا بِمَنْ حَوْلِي، وَأَنَّ النَّاسَ عَلَيْنَا أَلْبٌ وَاحِدٌ. «هَلْ تَعْلَمُ مَكَانَ الْحِيرَةِ؟ » قَالَ: قُلْتُ: قَدْ سَمِعْتُ بِهَا، وَلَمْ آتِهَا. قَالَ: «لَتُوشِكَنَّ الظَّعِينَةُ أَنْ تَخْرُجَ مِنْهَا بِغَيْرِ جِوَارٍ حَتَّى تَطُوفَ أو جَوَازٍ»، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى حَدِيثِ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ: «حَتَّى تَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ، وَلَتُوشِكَنَّ كُنُوزُ كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ أَنْ تُفْتَحَ»، قَالَ: قُلْتُ: كِسْرَى بْنُ هُرْمُزَ؟ قَالَ: «كِسْرَى بْنُ هُرْمُزَ» قَالَ: قُلْتُ: كِسْرَى بْنُ هُرْمُزَ؟ قَالَ: «كِسْرَى بْنُ هُرْمُزَ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَلَيُوشِكَنَّ أَنْ يَبْتَغِيَ مَنْ يَقْبَلُ مَالَهُ مِنْهُ صَدَقَةً، فَلَا يَجِدُ»، قَالَ: فَلَقَدْ رَأَيْتُ ثِنْتَيْنِ: قَدْ رَأَيْتُ الظَّعِينَةَ تَخْرُجُ مِنَ الْحِيرَةِ بِغَيْرِ جِوَارٍ حَتَّى تَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ، وَكُنْتُ فِي الْخَيْلِ الَّتِي غَارَتْ، وَقَالَ يُونُسُ: عَنْ حَمَّادٍ: أَغَارَتْ، عَلَى الْمَدَائِنِ. وَايْمُ اللهِ لَتَكُونَنَّ الثَّالِثَةُ، إِنَّهُ لَحَدِيثُ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَدَّثَنِيهِ » (٢٠).

_ وعَن ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ اليَهُودَ جَاءُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَذَكَرُوا لَهُ أَنَّ رَجُلًا مِنْهُمْ وَامْرَأَةً زَنَيَا، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا تَجِدُونَ فِي التَّوْرَاةِ فِي شَأْنِ الرَّجْمِ؟» فَقَالُوا: نَفْضَحُهُمْ وَيُجْلَدُونَ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلاَمٍ: كَذَبْتُمْ إِنَّ فِيهَا الرَّجْمَ فَأَتَوْا بِالتَّوْرَاةِ فَنَشَرُوهَا، فَوَضَعَ أَحَدُهُمْ يَدَهُ عَلَى آيَةِ الرَّجْمِ، فَقَرَأَ مَا قَبْلَهَا وَمَا بَعْدَهَا، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلاَمٍ: ارْفَعْ يَدَكَ، فَرَفَعَ يَدَهُ فَإِذَا فِيهَا آيَةُ الرَّجْمِ، فَقَالُوا: صَدَقَ يَا مُحَمَّدُ، فِيهَا آيَةُ الرَّجْمِ، فَأَمَرَ بِهِمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَرُجِمَا» (٢١).

(٢٠) وهذا إسناد رواته ثقات مشهورون, وأبو عبيدة-ابن حذيفة ابن اليمان- روى عنه جمع ووثقه العجلي وابن حبان, وأخرجه ابن حبان (٧١/١٥,ح[٦٦٧٩] أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْمَرْوَزِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ مُحَمَّدٍ به..

(٢١) البخاري, كِتَابُ المَنَاقِبِ, بَابُ قَوْلِه تَعَالَى: {يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} [البقرة: ١٤٦] (٢٠٦/٤, ح٣٦٣٥).

_ومع ذلك الخزي والاعتراف بكتمان ما أنزل الله فلم يأمره رب العزة سبحانه وتعالى بإجبارهم على شيء, ولا على فرض حكمه عليهم إلا إذا احتكموا إليه, فضلا عن معاملتهم وإبرام العهود والاتفاقات معهم حتى بعد محاربتهم, فليتنبه لهذا.

_** وعَنْ حُذَيْفَةَ، رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ العَاقِبُ وَالسَّيِّدُ، صَاحِبَا نَجْرَانَ، إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُرِيدَانِ أَنْ يُلاَعِنَاهُ، قَالَ: فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: لاَ تَفْعَلْ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ كَانَ نَبِيًّا فَلاَعَنَّا لاَ نُفْلِحُ نَحْنُ، وَلاَ عَقِبُنَا مِنْ بَعْدِنَا، قَالاَ: إِنَّا نُعْطِيكَ مَا سَأَلْتَنَا، وَابْعَثْ مَعَنَا رَجُلًا أَمِينًا، وَلاَ تَبْعَثْ مَعَنَا إِلَّا أَمِينًا «... الحديث» (٢٢)..

_ وعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَبِي: «يَا حُصَيْنُ كَمْ تَعْبُدُ اليَوْمَ إِلَهًا» ؟ قَالَ أَبِي: سَبْعَةً سِتَّةً فِي الأَرْضِ وَوَاحِدًا فِي السَّمَاءِ. قَالَ: «فَأَيُّهُمْ تَعُدُّ لِرَغْبَتِكَ وَرَهْبَتِكَ» ؟ قَالَ: الَّذِي فِي السَّمَاءِ. قَالَ: «يَا حُصَيْنُ أَمَا إِنَّكَ لَوْ أَسْلَمْتَ عَلَّمْتُكَ كَلِمَتَيْنِ تَنْفَعَانِكَ» قَالَ: فَلَمَّا أَسْلَمَ ...فَقَالَ: «قُلْ: اللَّهُمَّ أَلْهِمْنِي رُشْدِي، وَأَعِذْنِي مِنْ شَرِّ نَفْسِي » (٢٣).

ومسلم, كِتَابُ الْحُدُودِ, بَابُ رَجْمِ الْيَهُودِ أَهْلِ الذِّمَّةِ فِي الزِّنَى (١٣٢٦/٣, ح ٢٦ - (١٦٩٩) عَنْ عَبْد اللهِ بْنَ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أُتِيَ بِيَهُودِيٍّ وَيَهُودِيَّةٍ قَدْ زَنَيَا، فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى جَاءَ يَهُودَ، فَقَالَ: «مَا تَجِدُونَ فِي التَّوْرَاةِ عَلَى مَنْ زَنَى؟» قَالُوا: نُسَوِّدُ وُجُوهَهُمَا، وَنُحَمِّلُهُمَا، وَنُخَالِفُ بَيْنَ وُجُوهِهِمَا، وَيُطَافُ بِهِمَا، قَالَ: «فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ»، فَجَاءُوا بِهَا فَقَرَءُوهَا حَتَّى إِذَا مَرُّوا بِآيَةِ الرَّجْمِ وَضَعَ الْفَتَى الَّذِي يَقْرَأُ يَدَهُ عَلَى آيَةِ الرَّجْمِ، وَقَرَأَ مَا بَيْنَ يَدَيْهَا، وَمَا وَرَاءَهَا، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلَامٍ: وَهُوَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ مُرْهُ فَلْيَرْفَعْ يَدَهُ، فَرَفَعَهَا فَإِذَا تَحْتَهَا آيَةُ الرَّجْمِ، فَأَمَرَ بِهِمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَرُجِمَا، قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ: كُنْتُ فِيمَنْ رَجَمَهُمَا، فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَقِيهَا مِنَ الْحِجَارَةِ بِنَفْسِهِ».

و(١٣٢٧/٣, ح ٢٨ - (١٧٠٠) عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، قَالَ: مُرَّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ بِيَهُودِيٍّ مُحَمَّمًا مَجْلُودًا، فَدَعَاهُمْ ﷺ، فَقَالَ: «هَكَذَا تَجِدُونَ حَدَّ الزَّانِي فِي كِتَابِكُمْ؟» ، قَالُوا: نَعَمْ، فَدَعَا رَجُلًا مِنْ عُلَمَائِهِمْ، فَقَالَ: «أَنْشُدُكَ بِاللهِ الَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَاةَ عَلَى مُوسَى، أَهَكَذَا تَجِدُونَ حَدَّ الزَّانِي فِي كِتَابِكُمْ» قَالَ: لَا، وَلَوْلَا أَنَّكَ نَشَدْتَنِي بِهَذَا لَمْ أُخْبِرْكَ، نَجِدُهُ الرَّجْمَ، وَلَكِنَّهُ كَثُرَ فِي أَشْرَافِنَا، فَكُنَّا إِذَا أَخَذْنَا الشَّرِيفَ تَرَكْنَاهُ، وَإِذَا أَخَذْنَا الضَّعِيفَ أَقَمْنَا عَلَيْهِ الْحَدَّ، قُلْنَا: تَعَالَوْا فَلْنَجْتَمِعْ عَلَى شَيْءٍ نُقِيمُهُ عَلَى الشَّرِيفِ وَالْوَضِيعِ، فَجَعَلْنَا التَّحْمِيمَ، وَالْجَلْدَ مَكَانَ الرَّجْمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اللهُمَّ إِنِّي أَوَّلُ مَنْ أَحْيَا أَمْرَكَ إِذْ أَمَاتُوهُ» ، فَأَمَرَ بِهِ فَرُجِمَ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ} إِلَى قَوْلِهِ {إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ} [المائدة: ٤١] ، يَقُولُ: ائْتُوا مُحَمَّدًا ﷺ، فَإِنْ أَمَرَكُمْ بِالتَّحْمِيمِ وَالْجَلْدِ فَخُذُوهُ، وَإِنْ أَفْتَاكُمْ بِالرَّجْمِ فَاحْذَرُوا، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى {وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ... فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ... فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} فِي الْكُفَّارِ كُلِّهَا.

(٢٢) البخاري, كِتَابُ المَغَازِي, بَابُ قِصَّةِ أَهْلِ نَجْرَانَ (١٧١/٥, ح ٤٣٨٠ -)..

(٢٣) الترمذي, أَبْوَابُ الدَّعَوَاتِ, بَابٌ (٥١٩/٥, ح ٣٤٨٣ - حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مَنِيعٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنْ شَبِيبِ بْنِ شَيْبَةَ، عَنْ الحَسَنِ البَصْرِيِّ، عَنْ عِمْرَانَ وقال: «غَرِيبٌ وَقَدْ رُوِيَ هَذَا الحَدِيثُ عَنْ عِمْرَانَ مِنْ غَيْرِ هَذَا الوَجْهِ».. ونقل في دليل الفالحين (٢٩٢/٧*وقال الترمذي: حديث حسن).

** ومن لوازم الابتلاء: توطين النفس على توقع عناد بعض الصناديد ووجوب الصبر عليهم:

قال تعالى: {قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ (٣٣)} الحجر.

_أخرج البخاري, كَيْفَ كَانَ بَدْءُ الوَحْيِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ (٨/١, ح٧ - عَنِ ابْنَ عَبَّاسٍ، أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ أَخْبَرَهُ: أَنَّ هِرَقْلَ أَرْسَلَ إِلَيْهِ فِي رَكْبٍ مِنْ قُرَيْشٍ، وَكَانُوا تُجَّارًا بِالشَّأْمِ فِي المُدَّةِ الَّتِي كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَادَّ فِيهَا أَبَا سُفْيَانَ وَكُفَّارَ قُرَيْشٍ، فَأَتَوْهُ وَهُمْ بِإِيلِيَاءَ، وَحَوْلَهُ عُظَمَاءُ الرُّومِ، ثُمَّ دَعَاهُمْ وَدَعَا بِتَرْجُمَانِهِ، فَقَالَ: أَيُّكُمْ أَقْرَبُ نَسَبًا بِهَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ؟ فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: فَقُلْتُ أَنَا أَقْرَبُهُمْ نَسَبًا، فَقَالَ: أَدْنُوهُ مِنِّي، وَقَرِّبُوا أَصْحَابَهُ فَاجْعَلُوهُمْ عِنْدَ ظَهْرِهِ، ثُمَّ قَالَ لِتَرْجُمَانِهِ: قُلْ لَهُمْ إِنِّي سَائِلٌ هَذَا عَنْ هَذَا الرَّجُلِ، فَإِنْ كَذَبَنِي فَكَذِّبُوهُ. فَوَاللَّهِ لَوْلاَ الحَيَاءُ مِنْ أَنْ يَأْثِرُوا عَلَيَّ كَذِبًا لَكَذَبْتُ عَنْهُ. ثُمَّ كَانَ أَوَّلَ مَا سَأَلَنِي... قَالَ: فَهَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟ قُلْتُ: لاَ... فَإِنْ كَانَ مَا تَقُولُ حَقًّا فَسَيَمْلِكُ مَوْضِعَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ، وَقَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ، لَمْ أَكُنْ أَظُنُّ أَنَّهُ مِنْكُمْ، فَلَوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنِّي أَخْلُصُ إِلَيْهِ لَتَجَشَّمْتُ لِقَاءَهُ، وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ عَنْ قَدَمِهِ... قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: فَلَمَّا قَالَ مَا قَالَ... فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي حِينَ أُخْرِجْنَا: لَقَدْ أَمِرَ أَمْرُ ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ، إِنَّهُ يَخَافُهُ مَلِكُ بَنِي الأَصْفَرِ. فَمَا زِلْتُ مُوقِنًا أَنَّهُ سَيَظْهَرُ حَتَّى أَدْخَلَ اللَّهُ عَلَيَّ الإِسْلاَمَ...». ومع ذلك لم يُسْلم الا قبيل فتح مكة!؟

وقد قال الله تعالى{بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (٢٨) الأنعام}

_* وقال ابن اسحق(ص١٨٩_١٩٠): نا الزهري قال: « حدثت أنا أبا جهل وأبا سفيان والأخنس بن الشريق خرجوا ليلة ليسمعوا من رسول الله ﷺ وهو يصلي بالليل في بيته... فلما كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا، فجمعهم الطريق، فقالوا: لا نبرح حتى نتعاهد لا نعود، فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا، فلما أصبح الأخنس بن شريق أخذ عصا ثم خرج حتى أتى أبا سفيان في بيته، فقال: حدثني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد؟ فقال: يا أبا ثعلبة، والله سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها، وأشياء ما أعرف معناها ولا ما يراد بها، فقال الأخنس: وأنا والذي حلفت له، ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل فدخل عليه بيته، فقال: يا أبا الحكم: ما رأيك

وابن خزيمة في التوحيد (٢٧٧/١) حَدَّثَنَا رَجَاءُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْعُذْرِيُّ، قَالَ: ثنا عِمْرَانُ بْنُ خَالِدِ بْنِ طَلِيقِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، أَنَّ قُرَيْشًا جَاءَتْ إِلَى الْحُصَيْنِ، وَكَانَتْ تُعَظِّمُهُ، فَقَالُوا لَهُ: كَلِّمْ لَنَا هَذَا الرَّجُلَ، فَإِنَّهُ يَذْكُرُ آلِهَتَنَا وَيَسِبُّهُمْ، فَجَاءُوا مَعَهُ حَتَّى جَلَسُوا قَرِيبًا مِنْ بَابِ النَّبِيِّ ﷺ، وَدَخَلَ الْحُصَيْنُ، فَلَمَّا رَآهُ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ: «أَوْسِعُوا لِلشَّيْخِ»، وَعِمْرَانُ وَأَصْحَابُهُ مُتَوَافِدُونَ، فَقَالَ حُصَيْنٌ: مَا هَذَا الَّذِي يَبْلُغْنَا عَنْكَ، إِنَّكَ تَشْتُمُ آلِهَتَنَا وَتَذْكُرُهُمْ، وَقَدْ كَانَ أَبُوكَ جَفْنَةً وَخُبْزًا فَقَالَ: «يَا حُصَيْنُ، كَمْ إِلَهًا تَعْبُدُ الْيَوْمَ؟» قَالَ: سَبْعَةً فِي الْأَرْضِ، وَإِلَهًا فِي السَّمَاءِ، قَالَ: «فَإِذَا أَصَابَكَ الضُّرُّ مَنْ تَدْعُو؟» قَالَ: الَّذِي فِي السَّمَاءِ، قَالَ: فَإِذَا هَلَكَ الْمَالُ مَنْ تَدْعُو؟ " قَالَ: الَّذِي فِي السَّمَاءِ، قَالَ: «فَيَسْتَجِيبُ لَكَ وَحْدَهُ، وَتُشْرِكُهُمْ مَعَهُ؟» وَذَكَرَ الْحَدِيثَ»

فيما سمعت من محمد؟ فقال ماذا سمعت، تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف، أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تجاثينا على الركب وكنا كفرسي رهان قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء، فمتى تدرك هذه؟! والله لا نؤمن به أبداً، ولا نصدقه؛ فقام عنه الأخنس بن شريق».

_ وكذا طلبوا من النَّبِيِّ ﷺ: أَنْ يَجْعَلَ لَهم الصَّفَا ذَهَبًا، على سبيل العنت والتعجيز ليس إلا، ومع ذلك صبر عليهم ﷺ.

_* وقال ابن إسحاق في السيرة (ص٢٠٠): فذكر لي أن رسول الله ﷺ قال: ذلك جبريل لو دنا لأخذه, قال: فلما قال له ذلك أبو جهل قام النضر بن الحارث بن كلدة فقال: يا معشر قريش إنه والله قد نزل بكم أمر ما اشلتم «ما آتيتم له بحيلة بعد» له نبله بعد، لقد كان محمد فيكم غلاما حدثاً، أرضاكم فيكم، وأصدقكم حديثاً، وأعظمكم أمانة حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم قلتم: ساحر، ولا والله ما هو بساحر، قد رأينا السحرة ونفثهم وعقدهم، وقلتم: كاهن، ولا والله ما هو بكاهن، وقد رأينا الكهنة وحالهم وسمعنا سجعهم، وقلتم: شاعر، ولا والله ما هو بشاعر ولقد روينا الشعر وأصنافه كلها هزجه ورجزه وقريضه، وقلتم: مجنون، ولا والله ما هو بمجنون، ولقد رأينا الجنون فما هو بخنقه ولا وسوسته ولا تخليطه، يا معشر قريش انظروا في شأنكم، فإنه والله قد نزل بكم أمر عظيم».

_ فانظر إلى صَلَفهم وإصرارهم على التمادي في غيّهم مع تصريحهم بوضوح ما جاء به النبي ﷺ من حق!

فإذا كان هذا مع خير الخلق عليهم الصلاة والسلام فكيف بغيرهم!؟

_* ولا بد أن نفهم أن عناد كثير من الناس لن يزول برؤية ومكاشفة الآيات التي طلبوها بل ولا حتى برؤية النّار ومعاينتها؛ فقد قال الله تَعَالَى: {وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ}[الأنعام: ٢٧ _ ٢٨] فليعض علي هذا بالنواجذ!

*** *** ***

المبحث الثالث.. التأصيل الشرعي للتعاون مع المخالف

_* مما تقدم يظهر أنّ اختلاف الدين والثقافات لا يعني وجوب الصدام؛ بله التعاون على الحق والتكامل والإفادة من الجميع,

ومن أصول ذاك الباب أنّ السلم في العلاقات هو الأصل؛ لقوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ} [البقرة: ٢٠٨], ومع ذلك فإذا نشبت الحرب ثم جنحوا إلى السلم يستحب أن يجنح أهل الحق إليها إن لم يكن ثمة ضرر عليهم أو المستضعفين قال تعالى: {وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا (٦١)}الأنفال,

قال الطبري في تفسيره (١٤/٤٠): يقول تعالى ذكره لنبيه ﷺ: وإن مالوا إلى مسالمتك ومتاركتك الحربَ إما بالدخول في الإسلام وإما بإعطاء الجزية وإما بموادعة ونحو ذلك من أسباب السلم والصلح فمل إليها وابذل لهم ما مالوا إليه وسألوكه.

فلو كان الأصل هو الحرب لما دعي المسلمون إلى التزام جانب السلام إن جنح إليه

مخالفوهم، وعلى هذا جاءت سنة النبي ﷺ مقررة ومؤصلة له في نفوس المسلمين في فترتي الدعوة المكية والمدنية ولولا بغي المشركين واليهود والممالك المجاورة على المسلمين لما شرع ربّ العزة القتال للمستضعفين المقهورين بِقَوْلِهِ: {أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ} [الحج: ٣٩] , مع التنبيه على عدم الاعتداء فقال : {وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ} [البقرة: ١٩٠], وقال أيضا: {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوا فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ} [البقرة: ١٩٣] ومع ذلك حذر النبي ﷺ من تمني لقاء العدو فقال: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ، وَاسْأَلُوا اللهَ الْعَافِيَةَ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا» رواه البخاري, بَابُ كَرَاهِيَةِ تَمَنِّي لِقَاءِ العَدُوِّ, ومسلم, بَابُ كَرَاهَةِ تَمَنِّي لِقَاءِ الْعَدُوِّ، وَالْأَمْرِ بِالصَّبْرِ عِنْدَ اللِّقَاءِ عن عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي أَوْفَى رضي الله عنه».

مع الالتزام بالمعاهدات معهم والوفاء لهم ما وفّوا؛ قال تعالى: {وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذا عاهَدْتُمْ وَلا تَنْقُضُوا الْأَيْمانَ بَعْدَ تَوْكِيدِها وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا} [النحل: ٩١] ويقول الله تعالى: {وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ} [الأنفال: ٧٢] .

_ * ومع ذلك فقد نبّه الشارع الحكيم حال نشوب الحروب على عدم الاعتداء على غير الحربي وكذا المستضعفين:

أخرج مسلم, كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ, بَابُ تَأْمِيرِ الْإِمَامِ الْأُمَرَاءَ عَلَى الْبُعُوثِ، وَوَصِيَّتِهِ إِيَّاهُمْ بِآدَابِ الْغَزْوِ وَغَيْرِهَا (١٣٥٧/٣, ح ٣ - (١٧٣١) عَنْ بُرَيْدَةَ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ، أَوْ سَرِيَّةٍ، أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللهِ، وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، ثُمَّ قَالَ: «اغْزُوا بِاسْمِ اللهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللهِ، اغْزُوا وَلَا تَغُلُّوا، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تَمْثُلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا، وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ - أَوْ خِلَالٍ - فَأَيَّتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَإِنْ أَجَابُوكَ، فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ...، وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تَجْعَلَ لَهُمْ ذِمَّةَ اللهِ، وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ، فَلَا تَجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّةَ اللهِ، وَلَا ذِمَّةَ نَبِيِّهِ، وَلَكِنِ اجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّتَكَ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكَ، فَإِنَّكُمْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَمَكُمْ وَذِمَمَ أَصْحَابِكُمْ أَهْوَنُ مِنْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَّةَ اللهِ وَذِمَّةَ رَسُولِهِ...» الحديث.

_* ومما ورد في الإفادة من المخالف وطلب العون منه ما جاء في مغازي الواقدي, دار الأعلمي– بيروت, ط: الثالثة - ١٤٠٩(٣/٨٩٠) غزوة حنين: قَالُوا: وَخَرَجَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ نَاسٌ مِنْ الْمُشْرِكِينَ كَثِيرٌ، مِنْهُمْ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ، وكان الرسول ﷺ اسْتَعَارَ مِنْهُ مِائَةَ دِرْعٍ بِأَدَاتِهَا كَامِلَةً، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، طَوْعًا أَوْ كَرْهًا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : عَارِيَةً مُؤَدَّاةً! وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِصَفْوَانَ: اكْفِنَا حَمْلَهَا, فَحَمَلَهَا صَفْوَانُ عَلَى إِبِلِهِ.

_وعَنْ ذِي مِخْبَرٍ: سَمِعْت رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «سَتُصَالِحُونَ الرُّومَ صُلْحًا تَغْزُونَ أَنْتُمْ وَهُمْ عَدُوًّا مِنْ وَرَائِكُمْ» رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُد(٢٤), وَعَنِ الزُّهْرِيِّ «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ اسْتَعَانَ بِنَاسٍ مِنْ الْيَهُودِ فِي خَيْبَرَ فِي حَرْبِهِ فَأَسْهَمَ لَهُمْ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُد فِي مَرَاسِيلِهِ.

(٢٤)أبو داود, بَابٌ فِي صُلْحِ الْعَدُوِّ(٣/٨٦, ح ٢٧٦٧), بَابُ مَا يُذْكَرُ مِنْ مَلَاحِمِ الرُّومِ (٤/١٠٩, ح ٤٢٩٢) ورواته ثقات..

جاء في نيل الأوطار بعد أن ذكر بعض أحاديث النهي عن الاستعانة بالمشركين ثم ذكر حديثي ذِي مِخْبَرٍ والزُّهْرِيّ السابقين (٧/٢٦٤_٢٦٥) فقال: وَقَدْ جُمِعَ بِأَوْجُهٍ: مِنْهَا مَا ذَكَرَهُ الْبَيْهَقِيُّ عَنْ نَصّ الشَّافِعِيّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ تَفَرَّسَ الرَّغْبَةَ فِي الَّذِينَ رَدَّهُمْ فَرَدَّهُمْ رَجَاءَ أَنْ يُسْلِمُوا فَصَدَّقَ اللَّهُ ظَنَّهُ.

وَمِنْهَا أَنَّ الْأَمْرَ فِي ذَلِكَ إلَى رَأْيِ الْإِمَامِ، وَفِيهِ النَّظَرُ الْمَذْكُورُ بِعَيْنِهِ, وَمِنْهَا أَنَّ الِاسْتِعَانَةَ كَانَتْ مَمْنُوعَةً ثُمَّ رُخِّصَ فِيهَا، قَالَ الْحَافِظُ فِي التَّلْخِيصِ: وَهَذَا أَقْرَبُهَا، وَعَلَيْهِ نَصَّ الشَّافِعِيُّ، وَإِلَى عَدَمِ جَوَازِ الِاسْتِعَانَةِ بِالْمُشْرِكِينَ ذَهَبَ جَمَاعَةٌ مِنْ الْعُلَمَاءِ, وَحَكَى فِي الْبَحْرِ عَنْ الْعِتْرَةِ وَأَبِي حَنِيفَةَ وَأَصْحَابِهِ أَنَّهَا تَجُوزُ الِاسْتِعَانَةُ بِالْكُفَّارِ وَالْفُسَّاقِ حَيْثُ يَسْتَقِيمُونَ عَلَى أَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ, وَاسْتَدَلُّوا بِاسْتِعَانَتِهِ ﷺ بِنَاسٍ مِنْ الْيَهُودِ، وَبِاسْتِعَانَتِهِ ﷺ بِصَفْوَانَ يَوْمَ حُنَيْنٌ، وَبِإِخْبَارِهِ ﷺ بِأَنَّهَا سَتَقَعُ مِنْ الْمُسْلِمِينَ مُصَالَحَةُ الرُّومِ وَيَغْزُونَ جَمِيعًا عَدُوًّا مِنْ وَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ. قَالَ فِي الْبَحْرِ: وَتَجُوزُ الِاسْتِعَانَةُ بِالْمُنَافِقِ إجْمَاعًا لِاسْتِعَانَتِهِ ﷺ بِابْنِ أُبَيّ وَأَصْحَابِهِ, وَتَجُوزُ الِاسْتِعَانَةُ بِالْفُسَّاقِ عَلَى الْكُفَّارِ إجْمَاعًا وَعَلَى الْبُغَاةِ عِنْدَنَا لِاسْتِعَانَةِ عَلِيّ عليه السلام بِالْأَشْعَثِ.

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى جَوَازِ الِاسْتِعَانَةِ بِالْمُشْرِكِينَ «أَنَّ قَزْمَانَ خَرَجَ مَعَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ وَهُوَ مُشْرِكٌ فَقَتَلَ ثَلَاثَةً مِنْ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ حَمَلَةَ لِوَاءِ الْمُشْرِكِينَ حَتَّى قَالَ ﷺ: إنَّ اللَّهَ لَيَأْزُرُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ»(وهذا عند الشيخين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) كَمَا ثَبَتَ ذَلِكَ عِنْدَ أَهْلِ السِّيَرِ, وَخَرَجَتْ خُزَاعَةُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى قُرَيْشٍ عَامَ الْفَتْحِ. انتهى.

ومنه ما أخرج البخاري, بَابُ غَزْوَةِ الحُدَيْبِيَةِ, عَنْ عُرْوَةَ، عَنِ المِسْوَرِ وَمَرْوَانَ بْنِ الحَكَمِ، قَالاَ: «خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ عَامَ الحُدَيْبِيَةِ...وَبَعَثَ عَيْنًا لَهُ مِنْ خُزَاعَةَ، وَسَارَ ﷺ حَتَّى كَانَ بِغَدِيرِ الأَشْطَاطِ أَتَاهُ عَيْنُهُ قَالَ: إِنَّ قُرَيْشًا جَمَعُوا لَكَ جُمُوعًا...»

_قال الخطابي في معالم السنن (٢/٣٢٦) وفيه أنّ النبي ﷺ أرسل الخزاعي وبعثه عينا ثم صدقه في قوله وقَبِلَ خبره وهو كافر؛ وذلك لأن خزاعة كانوا عيبة نصح رسول الله ﷺ مؤمنهم وكافرهم احلف كانت بينهم في الجاهلية... ثم إن ذلك أمر لا يكاد يتحققه إلا من لابس العدو وداخلهم واستبطن سرهم وهذا المعنى متعذر وجوده غالباً في المسلمين.

وقال ابن القيم في زاد المعاد: مؤسسة الرسالة (٣/٢٦٨) وَمِنْهَا: أَنَّ الِاسْتِعَانَةَ بِالْمُشْرِكِ الْمَأْمُونِ فِي الْجِهَادِ جَائِزَةٌ عِنْدَ الْحَاجَةِ؛ لِأَنَّ عينه الخزاعي كَانَ كَافِرًا إِذْ ذَاكَ، وَفِيهِ مِنَ الْمَصْلَحَةِ أَنَّهُ أَقْرَبُ إِلَى اخْتِلَاطِهِ بِالْعَدُوِّ وَأَخْذِهِ أَخْبَارَهُمْ.

_ والاستعانة بغير المسلمين تشمل الأعمال الحربية وغيرها من حماية مستضعفي المسلمين وحماية الدولة نفسها!؟

ومنه قبول النبي ﷺ حماية عمّه أبي طالب وعشيرته له من أذى الكفار في العهد المكي[٢٥]»

(٢٥) «ففي السيرة النبوية لابن هشام الحميري (توفى: ٢١٣هـ): مطبعة مصطفى الحلبي ط: الثانية، ١٣٧٥(١/٣٨١) (كَيْفَ أَجَارَ الْمُطْعِمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ) وَأَمَّا قَوْلُهُ: «أَجَرْتَ رَسُولَ اللَّهِ مِنْهُمْ»، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا انْصَرَفَ عَنْ أَهْلِ الطَّائِفِ، وَلَمْ يُجِيبُوهُ إلَى مَا دَعَاهُمْ إلَيْهِ، مِنْ تَصْدِيقِهِ وَنُصْرَتِهِ، صَارَ إلَى حِرَاءٍ، ثُمَّ بَعَثَ إلَى الْأَخْنَسِ بْنِ شَرِيقٍ لِيُجِيرَهُ، فَقَالَ: أَنَا حَلِيفٌ، وَالْحَلِيفُ لَا يُجِيرُ. فَبَعَثَ إلَى سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو، فَقَالَ: إنَّ بَنِي عَامِرٍ لَا تُجِيرُ عَلَى بَنِي كَعْبٍ. فَبَعَثَ إلَى الْمُطْعِمِ بْنِ عَدِيٍّ فَأَجَابَهُ إلَى ذَلِكَ، ثُمَّ تَسَلَّحَ

_** وهذا التعاون يستلزم المكافأة بالمثل ورد الجميل للمحسن أيّا كان دينه؛ فقد ثبت أن النبيّ أخبر أنّ المُطْعِم بْن عَدِيّ لو كان حيا لترك له الأسرى»؛ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ فِي أُسَارَى بَدْرٍ: «لَوْ كَانَ الْمُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ حَيًّا، ثُمَّ كَلَّمَنِي فِي هَؤُلاَءِ النَّتْنَى لَتَرَكْتُهُمْ لَهُ»[٢٦] ..

قال الملا القاري: قِيلَ: وَفِيهِ بَيَانُ حَسَنِ الْمُكَافَأَةِ وَجَوَازُ فَرْضِ الْمُحَالِ. اهـ [٢٧]

ومنه ما أخرج البخاري, بَابُ اسْتِئْجَارِ الْمُشْرِكِينَ عِنْدَ الضَّرُورَةِ، أَوْ إِذَا لَمْ يُوجَدْ أَهْلُ الإِسْلاَمِ وَعَامَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَهُودَ خَيْبَرَ, عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «وَاسْتَأْجَرَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ رَجُلًا مِنْ بَنِي الدِّيلِ، ثُمَّ مِنْ بَنِي عَبْدِ هَادِيًا خِرِّيتًا- الخِرِّيتُ: المَاهِرُ بِالهِدَايَةِ- قَدْ غَمَسَ يَمِينَ حِلْفٍ فِي آلِ العَاصِ بْنِ وَائِلٍ، وَهُوَ عَلَى دِينِ كُفَّارِ قُرَيْشٍ، فَأَمِنَاهُ فَدَفَعَا إِلَيْهِ رَاحِلَتَيْهِمَا، وَوَاعَدَاهُ غَارَ ثَوْرٍ بَعْدَ ثَلاَثِ لَيَالٍ، فَأَتَاهُمَا بِرَاحِلَتَيْهِمَا صَبِيحَةَ لَيَالٍ ثَلاَثٍ، فَارْتَحَلاَ ...» .

_ ومنه ما أخرج الحاكم(٢٤٧/٣, ح ٤٩٨٨- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ يَوْمَ بَدْرٍ: «مَنْ لَقِيَ مِنْكُمُ الْعَبَّاسَ فَلْيَكْفُفْ عَنْهُ فَإِنَّهُ خَرَجَ مُسْتَكْرَهًا»... وقال: «صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ»

وفي سيرة ابن هشام, مكتبة مصطفى الحلبي, ط: الثانية، ١٣٧٥- (٦٢٨/١) (نَهْيُ النَّبِيِّ أَصْحَابَهُ عَنْ قَتْلِ نَاسٍ مِنْ الْمُشْرِكِينَ): عَن ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِأَصْحَابِهِ يَوْمَئِذٍ: إنِّي قَدْ عَرَفْتُ أَنَّ رِجَالًا مِنْ بَنِي هَاشِمٍ وَغَيْرِهِمْ قَدْ أُخْرِجُوا كُرْهًا، لَا حَاجَةَ لَهُمْ بِقِتَالِنَا، فَمَنْ لَقِيَ مِنْكُمْ أَحَدًا مِنْ بَنِي هَاشِمٍ فَلَا يَقْتُلْهُ، وَمَنْ لَقِيَ أَبَا الْبَخْتَرِيِّ بْنَ هِشَامِ بْنِ الْحَارِثِ فَلَا يَقْتُلْهُ، وَمَنْ لَقِيَ الْعَبَّاسَ عَمَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلَا يَقْتُلْهُ، فَإِنَّهُ إنَّمَا أُخْرِجَ مُسْتَكْرَهًا... .

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: [وَإِنَّمَا نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ قَتْلِ أَبِي الْبَخْتَرِيِّ؛ لِأَنَّهُ كَانَ أَكَفَّ الْقَوْمِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ بِمَكَّةَ، وَكَانَ لَا يُؤْذِيهِ، وَلَا يَبْلُغُهُ عَنْهُ شَيْءٌ يَكْرَهُهُ، وَكَانَ مِمَّنْ قَامَ فِي نَقْضِ الصَّحِيفَةِ الَّتِي كَتَبَتْ قُرَيْشٌ...].

_ وكذا لم ينكر النبيّ ﷺ على ذوي الجاه والنسب من المسلمين تدرعهم بقوة عشيرتهم في مواجهة صناديد الكفر في العهد المكي للدعوة, كأبي بكر وعمر وعثمان وغيرهم إلا من بادر بمشاركة إخوانه في تحمل بعض الأذى تضامنا وندبا وتدربا!؟

قال ابن الأثير عز الدين (المتوفى: ٦٣٠هـ): دار الكتاب العربي– لبنان ط: الأولى، ١٤١٧/ ١٩٩٧ (٦٧٤/١): وَاشْتَدَّتْ قُرَيْشٌ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، فَلَمَّا قَرُبَ الْمُسْلِمُونَ الَّذِينَ كَانُوا بِالْحَبَشَةِ مِنْ مَكَّةَ بَلَغَهُمْ أَنَّ إسْلَامَ أَهْلِ مَكَّةَ بَاطِلٌ، فَلَمْ يَدْخُلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ إلَّا بِجِوَارٍ أَوْ

الْمُطْعِمُ وَأَهْلُ بَيْتِهِ، وَخَرَجُوا حَتَّى أَتَوْا الْمَسْجِدَ، ثُمَّ بَعَثَ إلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْ أُدْخُلْ، فَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَطَافَ بِالْبَيْتِ وَصَلَّى عِنْدَهُ، ثُمَّ انْصَرَفَ إلَى مَنْزِلِهِ».

(٢٦) البخاري, كِتَابُ فَرْضِ الخُمُسِ, بَابُ مَا مَنَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الأُسَارَى مِنْ غَيْرِ أَنْ يُخَمِّسَ (٩١/٤, ح ٣١٣٩).

(٢٧)مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح, الملا القاري (ت ١٠١٤هـ): دار الفكر، بيروت – لبنان, ط: الأولى، ١٤٢٢(٢٥٥١/٦) .

مُسْتَخْفِيًا، فَدَخَلَ عُثْمَانُ فِي جِوَارِ أَبِي أُحَيْحَةَ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ... .

وما سوى ما تقدم فقد كانوا من مستضعفي المسلمين وقد كان النبي ﷺ يألم لحالهم ويبذل قُصارى جهده لحمايتهم والتخفيف عنهم فاستعان بعدل النجاشي _ ولم يكن مسلما حينئذ_ ووجّههم إلى الحبشة غير مرّة!؟

_ بل استعان النبي ﷺ في بداية تأسيس دولته بعقد الاتفاقيات مع سكان المدينة من يهود وغيرهم فضلا عن القبائل المشركة المحيطة بهم من كل جانب, ولم ينزل المسالمَ _وإن داهن [٢٨]_ مرتبة المجاهر بعداوته, فضلا عن تأليف قلوب سادة القبائل بالمال مع بقائهم على شركهم كما هو مقرر مشهور في السنن والسير[٢٩]!؟

_** وكذا مما يستأنس به هنا ثناء النبي ﷺ على أعمال بني المطلب في الجاهلية واعتبار حلفهم معهم أي بني هاشم؛ أخرج البيهقي في الصغير (٢٦/٤ , ح ٢٩٧٨- عَن ابْنِ إِسْحَاقَ، أَخْبَرَنِي الزُّهْرِيُّ، عَنْ ابْنِ الْمُسَيِّبِ، عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، قَالَ: لَمَّا قَسَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَهْمَ ذَوِي الْقُرْبَى عَلَى بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي الْمُطَّلِبِ، مَشَيْتُ أَنَا وَعُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَؤُلَاءِ إِخْوَانُكَ بَنُو هَاشِمٍ لَا يُنْكَرُ فَضْلُهُمْ لِمَكَانِكَ الَّذِي جَعَلَكَ اللَّهُ بِهِ مِنْهُمْ، أَرَأَيْتَ إِخْوَانَنَا مِنْ بَنِي الْمُطَّلِبِ، أَعْطَيْتَهُمْ وَتَرَكْتَنَا، وَإِنَّمَا نَحْنُ وَهُمْ مِنْكَ بِمَنْزِلَةٍ وَاحِدَةٍ؟ فَقَالَ: «إِنَّهُمْ لَمْ يُفَارِقُونَا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَلَا إِسْلَامٍ، إِنَّمَا بَنُو هَاشِمٍ وَبَنُو الْمُطَّلِبِ شَيْءٌ وَاحِدٌ» ثُمَّ شَبَّكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَيْهِ إِحْدَاهُمَا فِي الْأُخْرَى. وهذا طريق رواته أئمة ثقات.

_ وفي شرح مُسْنَد الشَّافِعِيّ للرافعي (المتوفى: ٦٢٣هـ) قوله: «إنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد» أشار به إلى شأن الصحيفة القاطعة... ولا يناكحوهم... لم يدخل بنو

---

(٢٨) ففي الأحكام السلطانية للماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ): دار الحديث– القاهرة (ص٧١): «وَقَدْ أَغْضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ الْمُنَافِقِينَ وَهُمْ أَضْدَادٌ فِي الدِّينِ، وَأَجْرَى عَلَيْهِمْ حُكْمَ الظَّاهِرِ حَتَّى قَوِيَتْ بِهِمْ الشَّوْكَةُ وَكَثُرَ بِهِمْ الْعَدَدُ وَتَكَامَلَتْ بِهِمْ الْقُوَّةُ، وَوَكِلَهُمْ فِيمَا أَضْمَرَتْهُ قُلُوبُهُمْ مِنْ النِّفَاقِ إلَى عَلَّامِ الْغُيُوبِ الْمُؤَاخِذِ بِضَمَائِرِ الْقُلُوبِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ}[الأنفال: ٤٦] ».

(٢٩) قال الجصاص الحنفي (المتوفى: ٣٧٠هـ)في أحكام القرآن: دار إحياء التراث العربي- بيروت: ١٤٠٥ (٣٢٤/٤): الْمُؤَلَّفَةِ قلوبهم قَوْم يُتَأَلَّفُونَ عَلَى الْإِسْلَامِ بِمَا يُعْطَوْنَ مِنْ الصَّدَقَاتِ ويُتَأَلَّفُونَ بِجِهَاتٍ ثَلَاثٍ: إحداها/ للكبار لِدَفْعِ مَعَرَّتِهِمْ وَكَفِّ أَذِيَّتِهِمْ عَنْ الْمُسْلِمِينَ وَالِاسْتِعَانَةِ بِهِمْ عَلَى غَيْرِهِمْ مِنْ الْمُشْرِكِينَ„ وَالثَّانِيَةِ/ لِاسْتِمَالَةِ قُلُوبِهِمْ وَقُلُوبِ غَيْرِهِمْ إلَى الدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ وَلِئَلَّا يَمْنَعُوا مَنْ أَسْلَمَ مِنْ قَوْمِهِمْ مِنْ الثَّبَاتِ عَلَى الْإِسْلَامِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنْ الْأُمُورِ„ وَالثَّالِثَةِ/ إعْطَاءُ بعض الْمُسْلِمِينَ حَدِيثِي الْعَهْدِ بِالْكُفْرِ لِئَلَّا يَرْجِعُوا إلَى الْكُفْرِ.

وكذا نحوه في تفسير, مؤسسة الرسالة, ط: الأولى، ١٤٢٠ - ٢٠٠٠ م (٣١٦/١٤)... ثم ختم كلامه بالقول: فلا حجة لمحتجّ بأن يقول: "لا يتألف اليوم على الإسلام أحد، لامتناع أهله بكثرة العدد ممن أرادهم"، وقد أعطى النبي ﷺ من أعطى منهم في الحال التي وصفت. * * *

المطلب في تبعتهم بل وافقوا بني هاشم وخرجوا إلى بعض الشعاب[٣٠].

_ وفي البداية والنهاية لابن كثير الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) ط دار هجر, (٣٠٣/٦) قَالَ الشَّافِعِيُّ: دَخَلُوا مَعَهُمْ فِي الشِّعْبِ وَنَاصَرُوهُمْ فِي إِسْلَامِهِمْ وَجَاهِلِيَّتِهِمْ. اه. قُلْتُ: لا يخفى قبوله مناصرة كثير منهم مع بقائهم على الكفر, وحتى مخرج المسلمين من ضائقة المقاطعة كان على يد بعض ذوي المروءة والنجدة ممن كانوا على الشرك أيضا وقد حمدوا لهم ذلك!

_ وفي الصحيحين: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «تَجِدُونَ النَّاسَ مَعَادِنَ، خِيَارُهُمْ فِي الجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الإِسْلاَمِ، إِذَا فَقِهُوا» سياق البخاري. وهو تصريح من الجناب النبوي الشريف بأن في الجاهلية خيرا..

_وفي المحلى لابن حزم(٤٦١/٩) وَأَمَّا بَيْعُهُ، وَابْتِيَاعُهُ: فَلِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺكَانَ يُعَامِلُ تُجَّارَ الْكُفَّارِ، «وَمَاتَ ﷺ وَدِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ عِنْدَ يَهُودِيٍّ فِي أَصْوَاعٍ شَعِيرٍ»، وَأَمَّا مُؤَاجَرَتُهُ فَلِأَنَّ «رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اسْتَأْجَرَ ابْنَ أَرْقَطَ وَهُوَ كَافِرٌ» «وَعَامَلَ يَهُودَ خَيْبَرَ عَلَى عَمَلِ أَرْضِهَا وَشَجَرِهَا بِنِصْفِ مَا يُخْرِجُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ ذَلِكَ»، وَأَمَّا هِبَتُهُ، وَصَدَقَتُهُ وَعِتْقُهُ «فَلِقَوْلِ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَشْيَاءُ كُنْت أَتَحَنَّثُ بِهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ مِنْ عَتَاقَةٍ وَصِلَةِ رَحِمٍ وَصَدَقَةٍ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَآلِهِ أَسْلَمْتَ عَلَى مَا أَسْلَفْتَ مِنْ خَيْرٍ» فَسَمَّى ﷺكُلَّ ذَلِكَ خَيْرًا، وَأَخْبَرَ: أَنَّهُ مُعْتَدٌّ لَهُ بِهِ. انتهى.

_وجلاء ذلك كله وتتويجه ما ورد في نصوص وثيقة العدل والتعايش والتعاون, وثيقة المدينة الدستورية الشهيرة؛

قال ابن هشام في السيرة(٥٠١/١_٥٠٤) (كِتَابُهُ ﷺ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَمُوَادَعَةُ يَهُودَ) : قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَكَتَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كِتَابًا بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَادَعَ فِيهِ يَهُودَ وَعَاهَدَهُمْ، وَأَقَرَّهُمْ عَلَى دِينِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، وَشَرَطَ لَهُمْ، وَاشْتَرَطَ عَلَيْهِمْ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، هَذَا كِتَابٌ مِنْ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ ﷺ ، بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ مِنْ قُرَيْشٍ وَيَثْرِبَ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ فَلَحِقَ بِهِمْ وَجَاهَدَ مَعَهُمْ، إِنَّهُمْ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ مِنْ دُونِ النَّاسِ... وَكُلُّ طَائِفَةٍ تَفْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ... وَإِنَّهُ مَنْ تَبِعَنَا مِنْ يَهُودَ فَإِنَّ لَهُ النَّصْرَ وَالْأُسْوَةَ، غَيْرَ مَظْلُومِينَ وَلَا مُتَنَاصَرِينَ عَلَيْهِمْ، وَإِنَّ سِلْمَ الْمُؤْمِنِينَ وَاحِدَةٌ لَا يُسَالَمُ مُؤْمِنٌ دُونَ مُؤْمِنٍ فِي قِتَالٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا عَلَى سَوَاءٍ وَعَدْلٍ بَيْنَهُمْ، ... وَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ لِمُؤْمِنٍ أَقَرَّ بِمَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ، وَآمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، أَنْ يَنْصُرَ مُحْدِثًا وَلَا يُؤْوِيهِ، وَأَنَّهُ مَنْ نَصَرَهُ أَوْ آوَاهُ، فَإِنَّ عَلَيْهِ لَعْنَةَ اللَّهِ وَغَضَبَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهُ صَرْفٌ وَلَا عَدْلٌ، وَإِنَّكُمْ مَهْمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ، فَإِنَّ مَرَدَّهُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ، وَإِنَّ الْيَهُودَ يُنْفِقُونَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ مَا دَامُوا مُحَارَبِينَ، وَإِنَّ يَهُودَ بَنِي عَوْفٍ أُمَّةٌ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ، لِلْيَهُودِ دِينُهُمْ، وَلِلْمُسْلِمِينَ دِينُهُمْ، مَوَالِيهِمْ وَأَنْفُسُهُمْ، إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَأَثِمَ، فَإِنَّهُ لَا يُوتِغُ إِلَّا نَفْسَهُ، وَأَهْلَ بَيْتِهِ، وَإِنَّ لِيَهُودِ بَنِي النَّجَّارِ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ، وَإِنَّ لِيَهُودِ بَنِي الْحَارِثِ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ، وَإِنَّ لِيَهُودِ بَنِي سَاعِدَةَ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ، وَإِنَّ لِيَهُودِ بَنِي جُشَمٍ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ، وَإِنَّ لِيَهُودِ بَنِي الْأَوْسِ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ، وَإِنَّ لِيَهُودِ بَنِي ثَعْلَبَةَ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ، إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَأَثِمَ فَإِنَّهُ لَا يُوتِغُ إِلَّا نَفْسَهُ وَأَهْلَ بَيْتِهِ، وَإِنَّ لِبَنِي الشَّطِيبَةِ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ، وَإِنَّ الْبِرَّ دُونَ الْإِثْمِ، وَإِنَّ مَوَالِيَ ثَعْلَبَةَ كَأَنْفُسِهِمْ، وَإِنَّ بِطَانَةَ يَهُودَ كَأَنْفُسِهِمْ، وَإِنَّهُ لَا

(٣٠) شرح مُسْنَد الشَّافِعِيّ لعبد الكريم بن محمد الرافعي القزويني (ت: ٦٢٣هـ)الناشر: وزارة الأوقاف، قطر, ط: الأولى، ١٤٢٨ (١٣٠/٤)».

يَخْرَجُ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا بِإِذْنِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَإِنَّهُ لَا يُنْحَجَزُ عَلَى ثَأْرِ جُرْحٌ، وَإِنَّهُ مَنْ فَتَكَ فَبِنَفْسِهِ فَتَكَ، وَأَهْلِ بَيْتِهِ، إِلَّا مِنْ ظَلَمَ، وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى أَبَرِّ هَذَا، وَإِنَّ عَلَى الْيَهُود نَفَقَتَهُمْ وَعَلَى الْمُسْلِمِينَ نَفَقَتَهُمْ، وَإِنَّ بَيْنَهُمْ النَّصْرَ عَلَى مَنْ حَارَبَ أَهْلَ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ، وَإِنَّ بَيْنَهُمْ النُّصْحَ وَالنَّصِيحَةَ، وَالْبِرَّ دُونَ الْإِثْمِ، وَإِنَّهُ لَمْ يَأْثَمْ امْرُؤٌ بِحَلِيفِهِ، وَإِنَّ النَّصْرَ لِلْمَظْلُومِ، وَإِنَّ الْيَهُودَ يُنْفِقُونَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ مَا دَامُوا مُحَارَبِينَ، وَإِنَّ يَثْرِبَ حَرَامٌ جَوْفُهَا لِأَهْلِ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ، وَإِنَّ الْجَارَ كَالنَّفْسِ غَيْرَ مُضَارٍّ وَلَا آثِمٌ، وَإِنَّهُ لَا تُجَارُ حُرْمَةٌ إِلَّا بِإِذْنِ أَهْلِهَا، وَإِنَّهُ مَا كَانَ بَيْنَ أَهْلِ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ مِنْ حَدَثٍ أَوْ اشْتِجَارٍ يُخَافُ فَسَادُهُ، فَإِنَّ مَرَدَّهُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِلَى مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى أَتْقَى مَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ وَأَبَرِّهِ، وَإِنَّ بَيْنَهُمْ النَّصْرَ عَلَى مَنْ دَهَمَ يَثْرِبَ، وَإِذَا دُعُوا إِلَى صُلْحٍ يُصَالِحُونَهُ وَيَلْبَسُونَهُ،... وَإِنَّهُمْ إِذَا دُعُوا إِلَى مِثْلِ ذَلِكَ فَإِنَّهُ لَهُمْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، إِلَّا مَنْ حَارَبَ فِي الدِّينِ، عَلَى كُلِّ أُنَاسٍ حِصَّتُهُمْ مِنْ جَانِبِهِمْ الَّذِي قِبَلَهُمْ، وَإِنَّ يَهُودَ الْأَوْسِ مَوَالِيهِمْ وَأَنْفُسَهُمْ، عَلَى مِثْلِ مَا لِأَهْلِ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ مَعَ الْبِرِّ الْمَحْضِ؟ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ. قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَيُقَالُ: وَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ آمِنٌ وَمَنْ قَعَدَ آمِنٌ بِالْمَدِينَةِ، إِلَّا مَنْ ظَلَمَ أَوْ أَثِمَ، وَإِنَّ اللَّهَ جَارٌ لِمَنْ بَرَّ وَاتَّقَى، وَمُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

_** ومنه معاملة الناس بما يظهرون مع وجوب الاحتياط في الأمور:

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، وَإِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ، وَأَقْضِيَ لَهُ عَلَى نَحْوِ مَا أَسْمَعُ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا فَلاَ يَأْخُذْ، فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ». (٣١)

قال القرطبي في التفسير (١٦/٣) وَالصَّحِيحُ أَنَّ الظَّاهِرَ يُعْمَلُ عَلَيْهِ حَتَّى يَتَبَيَّنَ خِلَافُهُ، لِقَوْلِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ (أي: كِتَابُ الشَّهَادَاتِ, بَابُ الشُّهَدَاءِ العُدُولِ ١٦٩/٣, ح ٢٦٤١): أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ الْوَحْيَ قَدِ انْقَطَعَ، وَإِنَّمَا نَأْخُذُكُمُ الْآنَ بِمَا ظَهَرَ لَنَا مِنْ أَعْمَالِكُمْ، فَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا خَيْرًا أَمَّنَّاهُ وَقَرَّبْنَاهُ، وَلَيْسَ لَنَا مِنْ سريرته شيء، اللَّهُ يُحَاسِبُهُ فِي سَرِيرَتِهِ، وَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا سُوءًا لَمْ نُؤَمِّنْهُ وَلَمْ نُصَدِّقْهُ، وَإِنْ قَالَ إِنَّ سَرِيرَتَهُ حَسَنَةٌ.

وفي حديث أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيّ عند الشيخين مرفوعا: «إِنِّي لَمْ أُومَرْ أَنْ أَنْقُبَ عَنْ قُلُوبِ النَّاسِ، وَلَا أَشُقَّ بُطُونَهُمْ»..

_** الإقرار بما عند الآخرين من فضائل ومكارم ومحاسن:

_** قال الله سبحانه وتعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (١٣) } الحجرات.. وقد قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَثَلِي وَمَثَلُ الأَنْبِيَاءِ كَرَجُلٍ بَنَى دَارًا، فَأَكْمَلَهَا وَأَحْسَنَهَا إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَدْخُلُونَهَا وَيَتَعَجَّبُونَ وَيَقُولُونَ: لَوْلاَ مَوْضِعُ اللَّبِنَةِ»(٣٢).

(٣١) البخاري, كِتَابُ الحِيَلِ, بَابُ إِذَا غَصَبَ جَارِيَةً فَزَعَمَ أَنَّهَا مَاتَتْ، فَقُضِيَ بِقِيمَةِ الجَارِيَةِ المَيِّتَةِ، ثُمَّ وَجَدَهَا صَاحِبُهَا فَهِيَ لَهُ، وَيَرُدُّ القِيمَةَ وَلاَ تَكُونُ القِيمَةُ ثَمَنًا (٢٥/٩, ح ٦٩٦٧ - ».

(٣٢)البخاري, كِتَابُ المَنَاقِبِ, بَابُ خَاتِمِ النَّبِيِّينَ ﷺ (١٨٦/٤, ح ٣٥٣٤ -) عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

_وأحمد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ»[٣٣].

_ أخرج مسلم, من طريق اللَّيْث بْن سَعْدٍ، حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ عُلَيٍّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ الْمُسْتَوْرِدُ الْقُرَشِيُّ، عِنْدَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «تَقُومُ السَّاعَةُ وَالرُّومُ أَكْثَرُ النَّاسِ» فَقَالَ لَهُ عَمْرٌو: أَبْصِرْ مَا تَقُولُ، قَالَ: أَقُولُ مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: لَئِنْ قُلْتَ ذَلِكَ، إِنَّ فِيهِمْ لَخِصَالًا أَرْبَعًا: إِنَّهُمْ لَأَحْلَمُ النَّاسِ عِنْدَ فِتْنَةٍ، وَأَسْرَعُهُمْ إِفَاقَةً بَعْدَ مُصِيبَةٍ، وَأَوْشَكُهُمْ كَرَّةً بَعْدَ فَرَّةٍ وَخَيْرُهُمْ لِمِسْكِينٍ وَيَتِيمٍ وَضَعِيفٍ، وَخَامِسَةٌ حَسَنَةٌ جَمِيلَةٌ: وَأَمْنَعُهُمْ مِنْ ظُلْمِ الْمُلُوكِ»[٣٤].

_** وابن إسحاق في السيرة (ص٢١٣) حديث الهجرة الأولى إلى الحبشة, قال: فلما اشتد البلاء وعظمت الفتنة تواثبوا على أصحاب رسول الله ﷺ وكانت الفتنة الآخرة التي أخرجت من كان هاجر من المسلمين بعد الذين كانوا خرجوا قبلهم إلى أرض الحبشة، حَدَّثَنِي الزُّهْرِيُّ، عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ، عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهَا قَالَتْ: لَمَّا ضَاقَتْ عَلَيْنَا مَكَّةُ وَأُوذِيَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ... وَأَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَا يَسْتَطِيعُ دَفْعَ ذَلِكَ عَنْهُمْ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺفِي مَنَعَةٍ مِنْ قَوْمِهِ وَعَمِّهِ، لَا يَصِلُ إِلَيْهِ شَيْءٌ مِمَّا يَكْرَهُ مَا يَنَالُ أَصْحَابَهُ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" إِنَّ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ مَلِكًا لَا يُظْلَمُ أَحَدٌ عِنْدَهُ فَالْحَقُوا بِبِلَادِهِ حَتَّى يَجْعَلَ اللهُ لَكُمْ فَرَجًا وَمَخْرَجًا مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ "، فَخَرَجْنَا إِلَيْهَا أَرْسَالًا حَتَّى اجْتَمَعْنَا وَنَزَلْنَا بِخَيْرِ دَارٍ إِلَى خَيْرِ جَارٍ أَمِنَّا عَلَى دِينِنَا، وَلَمْ نَخْشَ مِنْهُ ظُلْمًا.

_ وأخرج البيهقي في دلائل النبوة(٣٤١/٥) عَنْ كُمَيْلِ بْنِ زِيَادٍ، قَالَ: قَالَ عَلِيٌّ ﷺ: [يَا سُبْحَانَ اللهِ! مَا أَزْهَدَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فِي خَيْرٍ عَجَبًا، لِرَجُلٍ يَجِيئُهُ أَخُوهُ الْمُسْلِمُ فِي الْحَاجَةِ فَلَا يَرَى نَفْسَهُ لِلْخَيْرِ أَهْلًا، فَلَوْ كَانَ لَا يَرْجُو ثَوَابًا وَلَا يَخْشَى عِقَابًا لَكَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يسَارِعَ فِي مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ فَإِنَّهَا تَدُلُّ عَلَى سُبُلِ النجاحِ فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ: فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَسَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ: قَالَ: نَعَمْ، وَمَا هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ: لمّا أتى بسبايا طيّء وَقِفَتْ جَارِيَةٌ حَمْرَاءُ...قَالَ: فَلَمَّا رَأَيْتُهَا أُعْجِبْتُ بِهَا وقلت: لأطلبنّ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ يَجْعَلَهَا فِي فَيْئِي فَلَمَّا تَكَلَّمَتْ أُنْسِيتُ جَمَالَهَا لِمَا رَأَيْتُ مِنَ فَصَاحَتِهَا، فَقَالَتْ: يَا مُحَمَّدُ! إِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُخَلِّيَ عَنَّا وَلَا تُشْمِتْ بِي أَحْيَاءَ الْعَرَبِ فَإِنِّي ابْنَةُ سَيِّدِ قَوْمِي، وَإِنَّ أَبِي كَانَ يَحْمِي الذِّمَارَ، وَيَفُكُّ الْعَانِي، وَيُشْبِعُ الْجَائِعَ، وَيَكْسُو الْعَارِيَ، وَيَقْرِي الضَّيْفَ، وَيُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَيُفْشِي السَّلَامَ، وَلَا يَرُدُّ طَالِبَ حَاجَةٍ قَطُّ، أَنَا ابْنَةُ حَاتِمِ طيّء، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: يَا جَارِيَةُ! هَذِهِ صِفَةُ الْمُؤْمِنِينَ حَقًّا لَوْ كَانَ أَبُوكِ مُسْلِمًا لَتَرَحَّمْنَا عَلَيْهِ، خَلُّوا عَنْهَا فَإِنَّ أَبَاهَا كَانَ يُحِبُّ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ، وَاللهُ يُحِبُّ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ، فَقَامَ أَبُو بُرْدَةَ بْنُ دينار، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! اللهُ عَزَّ وَجَلَّ يُحِبُّ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَحَدٌ إِلَّا بحسن الخلق].

_** والشاهد: اعتراف النبي ﷺ بحسن مكارم عديّ بن حاتم مع كونه مات مشركا, وتقريره بأنّ بعثته لتمام بناء ما تقدم مما قرّره إخوانه الأنبياء وصالحو أممهم وثناؤه على عدل النجاشي

(٣٣) أحمد(٥١٢/١٤, ح٨٩٥٢ - حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَجْلَانَ، عَنْ الْقَعْقَاعِ بْنِ حَكِيمٍ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ.. **وهذا إسناد رواته ثقات.

(٣٤) في صحيحه, كتاب الْفِتَنِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ, بَابُ تَقُومُ السَّاعَةُ وَالرُّومُ أَكْثَرُ النَّاسِ (٢٢٢٢/٤, ح ٣٥ - (٢٨٩٨).

مع عدم التواصل بينهم حينئذ!؟

_** ومما يُستأنس به في هذا الموضع من اعتبار صالح عمل جميع الخلق في ميزان الحق ما نقله غير واحد من الأئمة؛ كما جاء عن الفخر الرازي قال: قَوْلُهُ: {وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا} [هود : ٦١] وَفِيهِ ثَلَاثَةُ أَوْجُهٍ:

- الْأَوَّلُ: جَعَلَكُمْ عُمَّارَهَا، قَالُوا: كَانَ مُلُوكُ فَارِسَ قَدْ أَكْثَرُوا فِي حَفْرِ الْأَنْهَارِ وَغَرْسِ الْأَشْجَارِ، لَا جَرَمَ خَصَلَتْ لَهُمُ الْأَعْمَارُ الطَّوِيلَةُ مع ما كان فيهم من عسف الرعايا وما كان منهم من الظلم!؟
- فَسَأَلَ نَبِيٌّ مِنْ أَنْبِيَاءِ زَمَانِهِمْ رَبَّهُ: مَا سَبَبُ تِلْكَ الْأَعْمَارِ!؟ فَأَوْحَى اللَّه إِلَيْه: أَنَّهُمْ عَمَّرُوا بِلَادِي فَعَاشَ فِيهَا عِبَادِي».(٣٥)
- _ بل روي في ذلك خبر عجيب أيضا يؤيد ما تقدم ويشبهه: ما روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: إنما أمهل فرعون مع دعواه الألوهية لسهولة إذنه وبذل طعامه.(٣٦)

- _ فأي رحمة أكبر من هذه وأي مصلحة أدق وأحكم من هذا؛ إذ إنّ كفرَ الحاكم عليه وحده! بينما حسن سياسته لرعيته وتحقيق مصالحهم ومعايشهم عام يشمل الطائع والعاصي؛ لذا كانت دعوة الكليم عليه السلام موجهة لتحقيق العبودية لمن يستحقها أما المصالح الدنيوية وحسن رعايتها فمما يستحسن إن كان من كافر أو مسلم, ويؤيده إغاثة الله تعالى للناس بنبيه يوسف عليه السلام قبيل الجفاف المنصوص عليه في القرآن الذي أصاب مصر وما حولها من أقطار؛ فقد كان اللطف الإلهي _بجانب إقامة التوحيد وصرف العبودية لمن يستحقها_ هو تعليم حكماء مصر آنذاك لفنون جديدة تعينهم على تجاوز الأزمة التي سيتعرضون لها, وذاك بطلب يوسف عليه السلام أن يكون على خزائن الأرض, ولا يكون هذا إلا بنظام محكم وقوانين قائمة تحتاج إلى إضافة ما يتمم نقصها مما ينفع في تجاوز الأزمة التي ستحل بهم .
  - _ والشاهد هنا: تعايش نبي الله صلى الله عليه وسلم وتعاونه مع كافة الخلق الموحدين منهم وغير الموحدين وحرصه على التكامل والتعاون على درأ الخطر المحدق بعباد الله ودوابه والمستضعفين,!

_ ومنه النظر في تجارب الأمم؛ فعَنْ عَائِشَةَ، عَنْ جُدَامَةَ بِنْتِ وَهْبٍ، أُخْتِ عُكَّاشَةَ، قَالَتْ: حَضَرْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فِي أُنَاسٍ وَهُوَ يَقُولُ: «لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَنْهَى عَنِ الْغِيلَةِ، فَنَظَرْتُ فِي

(٣٥) مفاتيح الغيب للرازي (٣٦٧/١٨), وكذا نقله الزمخشري (المتوفى: ٥٣٨هـ) في الكشاف: دار الكتاب العربي - بيروت (٤٠٧/٢).

(٣٦) المستطرف في كل فن مستطرف لشهاب الدين محمد بن أحمد الأبشيهي (توفى: ٨٥٢هـ): عالم الكتب, ط: الأولى، ١٤١٩ (ص١٠٥).

_ جاء في فتح القدير للشوكاني(٥٣٥/٢): في قَوْله تعالى: رَبَّنَا اطْمِسْ عَلى أَمْوالِهِمْ.. أَخْرَجَ ابْنُ الْمُنْذِرِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: يَزْعُمُونَ أَنَّ فِرْعَوْنَ مَكَثَ بَعْدَ هَذِهِ الدَّعْوَةِ أَرْبَعِينَ سَنَةً. وَأَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ مِثْلَهُ, وَأَخْرَجَ الْحَكِيمُ التِّرْمِذِيُّ عَنْ مُجَاهِدٍ نَحْوَهُ.

الرُّومِ وَفَارِسَ، فَإِذَا هُمْ يُغِيلُونَ أَوْلَادَهُمْ، فَلَا يَضُرُّ أَوْلَادَهُمْ ذَلِكَ شَيْئًا»[٣٧]والشاهد: النظر في تجارب الأمم والإفادة منهم مع العلم بتنوعهم واختلافهم؛ فالحكمة ضالة المؤمن .

_* ومنه: أنّ النبي ﷺ نشأ في أمة قوام حياتها على التجارة؛ فكانت لهم رحلة إلى اليمن وأخرى إلى الشام فنزل القرآن مذكرا لهم أنّ ذلك من نعم الله عليهم فليقوموا بما وجب عليهم تجاهه من تحقيق العبودية له وحده,

والشاهد ظاهر: إذ لم يعدّ جدْب بلادهم من النِّقَم عليهم؛ فلقد كانت أقوى الممالك حينئذ في حاجة إلى بضائع تلك البلاد القاحلة مع قوتهم وغناهم فكانوا يسمحون لهم بالدخول إلى ممالكهم للحاجة إلى ما يحملون من تجارة تنفعهم! قال تَعَالَى:{لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِّنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِّنْ خَوْفٍ}[قريش]

- _ ومنه الإفادة من علوم الآخرين عسكرية أو علمية؛ قال الواقدي في المغازي(٤٤٥/٢): وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُكْثِرُ مُشَاوَرَتَهُمْ فِي الْحَرْبِ، فَقَالَ: أَنَبْرُزُ لَهُمْ مِنْ الْمَدِينَةِ، أَمْ نَكُونُ فِيهَا وَنُخَنْدِقُهَا عَلَيْنَا، أَمْ نَكُونُ قَرِيبًا وَنَجْعَلُ ظُهُورَنَا إلَى هَذَا الْجَبَلِ؟ فَاخْتَلَفُوا، فَقَالَتْ طَائِفَةٌ: ... فَقَالَ قَائِلٌ: نَدْعُ الْمَدِينَةَ خُلُوفًا! فَقَالَ سَلْمَانُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إنّا إذْ كُنّا بِأَرْضِ فَارِسَ وَتَخَوّفْنَا الْخَيْلَ خَنْدَقْنَا عَلَيْنَا، فَهَلْ لَك يَا رَسُولَ اللهِ أَنْ نُخَنْدِقَ؟ فَأَعْجَبَ رَأْيُ سَلْمَانَ الْمُسْلِمِينَ .
- وأخرج الترمذي(٥١/٥, ح ٢٦٨٧ – من طريق إِبْرَاهِيمَ بْنِ الفَضْلِ، عَنْ سَعِيدٍ المَقْبُرِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الكَلِمَةُ الحِكْمَةُ ضَالَّةُ المُؤْمِنِ، فَحَيْثُ وَجَدَهَا فَهُوَ أَحَقُّ بِهَا» : «هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الوَجْهِ وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ الْفَضْلِ الْمَخْزُومِيُّ يُضَعَّفُ فِي الحَدِيثِ مِنْ قِبَلِ حِفْظِهِ»
- وفي المقاصد الحسنة للسخاوي (المتوفى: ٩٠٢هـ): دار الكتاب العربي – بيروت ط: الأولى، ١٤٠٥ - (ص/٣١١) بعد أن نقل هدة أخبار في الباب تعضده عن ابن عباس وابن عمر مرفوعين, قال: ونحو هذا يروى من قول علي، قال العسكري: أراد ﷺ أن الحكيم يطلب الحكمة أبدا، وينشدها فهو بمنزلة المضل ناقته يطلبها. انتهى.
- _ ومن أرقى أوجه التعايش معاملة أهل الكتاب بما يتألفهم به؛
- أخرج مالك في الموطأ رواية أبي مُصْعَبٍ (١١١/٢, ح١٩٨٢ _ عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ عَمْرَةَ بِنْتِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ -رحمة الله عليه- دَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ وَهِيَ تَشْتَكِي

(٣٧) مسلم, كِتَابُ النِّكَاحِ, بَابُ جَوَازِ الْغِيلَةِ وَهِيَ وَطْءُ الْمُرْضِعِ، وَكَرَاهَةِ الْعَزْلِ (١٠٦٧/٢, ح ١٤١ - ١٤٤٢).

قال النووي في شرح مسلم (١٦/١٠): قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ الْغِيلَةُ هُنَا بِكَسْرِ الْغَيْنِ وَيُقَالُ لَهَا الْغَيْلُ بِفَتْحِ الْغَيْنِ مَعَ حَذْفِ الْهَاءِ وَالْغِيَالُ بِكَسْرِ الْغَيْنِ, وَقَالَ جَمَاعَةٌ: الْغَيْلَةُ بِالْفَتْحِ الْمَرَّةُ الْوَاحِدَةُ وَأَمَّا بِالْكَسْرِ فَهِيَ الِاسْمُ مِنَ الْغِيلِ وَقِيلَ إِنْ أُرِيدَ بِهَا وَطْءُ الْمُرْضِعِ جَازَ الْغِيلَةُ وَالْغَيْلَةُ بِالْكَسْرِ وَالْفَتْحِ وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي الْمُرَادِ بِالْغِيلَةِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ وَهِيَ الْغَيْلُ فَقَالَ مَالِكٌ فِي الْمُوَطَّإِ وَالْأَصْمَعِيُّ وَغَيْرُهُ مِنْ أَهْلِ اللُّغَةِ أَنْ يُجَامِعَ امْرَأَتَهُ وَهِيَ مُرْضِعٌ يُقَالُ مِنْهُ أَغَالَ الرَّجُلُ وأغيل اذا فعل ذلك وقال بن السِّكِّيتِ هُوَ أَنْ تُرْضِعَ الْمَرْأَةُ وَهِيَ حَامِلٌ يُقَالُ مِنْهُ غَالَتْ وَأَغْيَلَتْ.

وَيَهُودِيَّةٌ تَرْقِيهَا، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: ارْقِيهَا بِكِتَابِ اللهِ جَلَّ وَعَزَّ».. فقَوْلُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ﷺ لِلْيَهُودِيَّةِ ارْقِيهَا بِكِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ظَاهِرُهُ أَنَّهُ أَرَادَ التَّوْرَاةَ؛ لِأَنَّ الْيَهُودِيَّةَ فِي الْغَالِبِ لَا تَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَحْتَمِلُ - وَاَللَّهُ أَعْلَمُ - أَنْ يُرِيدَ بِذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ اسْمُهُ، أَوْ رُقْيَةً مُوَافِقَةً لِمَا فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى وَيَعْلَمُ صِحَّةَ ذَلِكَ بِأَنْ تَظْهَرَ رُقْيَتُهَا فَإِنْ كَانَتْ مُوَافِقَةً لِكِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَمَرَهَا بِهَا . »[٣٨]

- _** ومما يثبت أن معاملة الناس بالحق وإقامة العدل يحقق التعايش السلمي بينهم؛
- ما أخرجه البيهقي في السنن الكبرى(٣٨٨/٩, ح ١٨٨٥٦ – من طريق ابْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: وَحَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ رُومَانَ، عَنْ عُرْوَةَ، قَالَ: وَحَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ زِيَادٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيِّ، وَعُثْمَانَ بْنِ يَهُوذَا أَحَدُ بَنِي عَمْرِو بْنِ قُرَيْظَةَ, عَنْ رِجَالٍ مِنْ قَوْمِهِ قَالُوا: كَانَ الَّذِينَ حَزَّبُوا الْأَحْزَابَ نَفَرٌ مِنْ بَنِي النَّضِيرِ وَنَفَرٌ مِنْ بَنِي وَائِلٍ, وَكَانَ مِنْ بَنِي النَّضِيرِ حُيَيُّ بْنُ أَخْطَبَ...وَرِجَالٌ مِنْهُمْ قَدِمُوا عَلَى قُرَيْشٍ فَدَعَوْهُمْ إِلَى حَرْبِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَنَشِطُوا لِذَلِكَ ثُمَّ ذَكَرَ الْقِصَّةَ فِي خُرُوجِ الْأَحْزَابُ قَالَ: وَخَرَجَ حُيَيُّ حَتَّى أَتَى كَعْبَ بْنَ أَسَدٍ صَاحِبَ عَقْدِ بَنِي قُرَيْظَةَ وَعَهْدِهِمْ فَلَمَّا سَمِعَ بِهِ كَعْبٌ أَغْلَقَ حِصْنَهُ دُونَهُ فَقَالَ: وَيْحَكَ يَا كَعْبُ افْتَحْ لِي حَتَّى أَدْخُلَ عَلَيْكَ , فَقَالَ: وَيْحَكَ يَا حُيَيُّ إِنَّكَ امْرُؤٌ مَشْئُومٌ وَإِنَّهُ لَا حَاجَةَ لِي بِكَ وَلَا بِمَا جِئْتَنِي بِهِ إِنِّي لَمْ أَرَ مِنْ مُحَمَّدٍ إِلَّا صِدْقًا وَوَفَاءً وَقَدْ وَادَعَنِي مُوَادَعَةً فَدَعْنِي وَارْجِعْ عَنِّي... وَذَكَرَ مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ أَنَّ حُيَيًّا لَمْ يَزَلْ بِهِمْ حَتَّى شَأَمَهُمْ فَاجْتَمَعَ مَلَؤُهُمْ عَلَى الْغَدْرِ عَلَى أَمْرِ رَجُلٍ وَاحِدٍ غَيْرَ أَسَدٍ وَأُسَيْدٍ وَثَعْلَبَةَ خَرَجُوا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ.
- _والشاهد: شهادة اليهود أنفسهم بأن العدل يحقق التعايش, لولا ما كان من غدرهم وبغيهم, ومن نظر في تاريخ دولة الخلفاء الراشدين وأكثر دول الإسلام وجد نماذج حقيقية صالحة للاستدلال على إمكانية التكامل, وقد سلك الخلفاء الراشدون وتابعوهم منهجَ النبي ﷺ في معاملة المجوس وغيرهم معاملة أهل الكتاب فقبلوا منهم والترك والصين وغيرهم الموادعة والسلم حينما عرضوا على المسلمين الصلح وبادروا إليه, ولم يكن جهادهم إلا لنشر الحق وقمع المعتدي!
- وكذا في عالمنا المعاصر يمكن التكامل والتعايش, لكن مع الأخذ بأسباب القوة وما يمكن أن يردع الظالم ويرهبه.

_ ولا شك أنّ لكل قاعدة استثناء؛ فكما أنّ للباطل أعوانا فقد شرّع ربّ العزة لهم من الشرائع ما يردعهم ويردّهم إلى جادة الحق مع الأخذ في الاعتبار سنة التدافع بسعة مفهومها ونتائجها وعدم تقديم الفرع(الحرب) على الأصل(السلم).

_ وما ذاك إلا بتكريم من كرّم اللهُ وأمر بحسن معاملته,, وقد ظهر في كثير من الأمم على مر العصور عباقرة وعلماء أفادوا مما جاء به الإسلام سواء كان ذلك بما دعوا إلى تغييره من عقيدتهم أو التخلق ببعض ما جاء به أو دخولهم في الإسلام, وصنف في بيان ذلك وفضل العلوم الإسلامية على الحضارة الغربية مصنفات عدة, وما أكثر المخترعات بأيدي غير المسلمين التي أفادت العالم في القرون المتأخرة!! وكذا بعض التقنينات المهمة التي أنجزت في القرون المتأخرة كتحريم الرقّ والدعوة إلى مراعاة حق الصغار والعمال وغير ذلك من المحاسن, فهي وإن جاء بها الإسلام إلا أنّ القوة منذ عدة قرون بيد غير المسلمين وهي التي

(٣٨) المنتقى شرح الموطإ لأبي الوليد سليمان بن خلف الباجي (توفى: ٤٧٤هـ): مطبعة السعادة– مصر, ط: الأولى، ١٣٣٢ (٢٦١/٧) .

يمكنها فرض ذلك وتفعيله, مع وجوب تجنب ما فيها مما يخالف الإسلام وتأباه المكارم. والله أعلم.

_ وفي الختام نشير إلى ملحظ تربوي هام وثمرة ذلك التأصيل والتفصيل والاستدلال السابق في البحث؛ وهو تحقيق الألفة والمودة وإقامة العدل, بلْه الإحسان بين الناس بأيدي المسؤولين ووعي الرعية وتعاونهم؛ فكلٌّ راعٍ ومسؤول عن رعيّته..

تم بحمد الله وتوفيقه.. والصلاة والسلام على رسول الله وآله والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين..

*** الخاتمة ***

** الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات , وبتوفيقه تستنبط دقيق المسائل والنكات , والصلاة والسلام على خير الخلق ومن ختمت به النبوة والرسالات, وعلى أصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين والتناد ..

** فبعد رحلة شيّقة في إعداد هذا البحث أفدت منه أيّما إفادة , وتوصلت فيه إلى نتائج عدة , منها :

_ الاختلاف سنة من سنن الله تعالى في كونه القاهرة ومن حكمه الظاهرة وآية من آياته المعجزة الباهرة.

_ وجوب التعايش مع جميع الشعوب على اختلافهم والإفادة من تجاربهم في شتى الأمور والجوانب!

_ وجوب تقديم عوامل التآلف على التنافر ما لم يقدم المخالف على الاعتداء وإثارة الفتن والصد عن الحق فتجب مقاومته.

_ وجوب الالتزام بضوابط الحوار الهادف لتحقيق الغاية منه .

_ الانطلاق من أسس دينية صحيحة في عالم متعدد الأعراق والثقافات عاصمٌ من الانزلاق في مهاوي التطرف ومزلّة التعدي على المستضعفين وإلحاق الضرر بالآخرين متفقين في الدين كانوا أو مخالفين!!

_ تعدد الحضارات وتنوع الأفكار واحتياج الشعوب إلى التكامل فيما بينها مفيد لا شك عند ذوي الألباب .

_ تحقيق التعايش مع الاختلاف واقعٌ محمود ومقبول دينيا وفكريا عند المحققين والشواهد على ذلك كثيرة كما بينا ونقلنا عن أوامر رب العزة سبحانه وتطبيقات النبي ﷺ والمسلمين على مرّ الدهور لها ..

_** <u>أهم التوصيات:</u>

_وجوب الإحاطة بفقه سنن الله الكونية والالتزام بأوامر رب العزة سبحانه وسنن النبي في التواصل مع الآخرين والتعايش معهم والإفادة منهم.

_عمل دور العلم وذويها والمؤسسات المسؤولة على بيان الفهم الصحيح للتنوع المقبول البناء

وغير المقبول .

_ التنبيه على صلاحية الشرع لكل زمان ومكان فقد وضح رب العزة أن أصل العلاقات بين الشعوب هو السلم والتكامل والتعايش والتعارف والإفادة مع مقاومة المعتدي وردعه ووأد الفتن ومعاقبة مثيريها .

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه والتابعين لهم بإحسان وسلم تسليما كثيرا .

*** *** ***

*** المراجع ***

** القرآن الكريم .

_ أحكام القرآن, لأحمد بن علي الرازي الجصاص الحنفي (المتوفى: ٣٧٠هـ): دار إحياء التراث العربي – بيروت, تاريخ الطبع: ١٤٠٥ هـ

_ أسنى المطالب في شرح روض الطالب, زكريا بن محمد الأنصاري، السنيكي (المتوفى: ٩٢٦هـ): دار الكتاب الإسلامي: بدون

_ أعلام النبوة, لعلي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ): دار الهلال– بيروت, ط: الأول– ١٤٠٩.

_ إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) حققه:محمد عبد السلام: دار الكتب العلمية– ط: الأولى، ١٤١١.

_ الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان, ترتيب: علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (توفى: ٧٣٩ هـ): مؤسسة الرسالة, ط: أولى، ١٤٠٨ .

_ الأحكام السلطانية, لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ): دار الحديث - القاهرة

_ الاستغاثة في الرد على البكري, لابن تيمية (: ٧٢٨ هـ) تحقيق:د. عبد الله بن دجين: دار المنهاج- السعودية, ط: الأولى، ١٤٢٦ هـ

_ الإصابة في تمييز الصحابة, لابن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ): دار الكتب العلمية – بيروت, الطبعة: الأولى - ١٤١٥ هـ

_ الاعتصام للشاطبي دار ابن الجوزي، السعودية, ط: الأولى، ١٤٢٩.

_ الإعلام بقواطع الإسلام لابن حجر الهيتمي الأنصاري (٩٧٤هـ) تحقيق: محمد عواد: دار التقوى/ سوريا, ط: الأولى، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٨م

_ البداية والنهاية لابن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ): دار هجر ط: الأولى، ١٤١٨- ١٩٩٧ .

_ البحر المديد في تفسير القرآن المجيد, لابن عجيبة الحسني الفاسي (١٢٢٤هـ), الناشر: د حسن عباس زكي – القاهرة, ط: ١٤١٩ هـ

_ البحر المحيط في أصول الفقه :بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ), دار الكتبي, ط: الأولى، ١٤١٤.

_ تفسير البغوي, الحسين بن مسعود (المتوفى: ٥١٠هـ) : دار طيبة, ط: الرابعة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م

_ تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة, لابن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ): دار البشائر .بيروت, ط: الأولى .١٩٩٦م

_ التحرير والتنوير, الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ) الدار التونسية للنشر - تونس: ١٩٨٤ هـ.

_ جامع البيان في تأويل القرآن, لمحمد بن جرير الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) المحقق: أحمد شاكر: مؤسسة الرسالة, ط: الأولى، ١٤٢٠ .

_ الجامع لأحكام القرآن= تفسير القرطبي الأنصاري شمس الدين (المتوفى: ٦٧١هـ): دار الكتب المصرية – القاهرة, ط: الثانية، ١٣٨٤.

_ الحبائك في أخبار الملائك, عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ): دار الكتب العلمية، ط: الأولى، ١٤٠٥.

_ دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة, للبيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ): دار الكتب العلمية – بيروت, ط: الأولى - ١٤٠٥ هـ

_ رد المحتار على الدر المختار, لابن عابدين، الدمشقي الحنفي (المتوفى: ١٢٥٢هـ): دار الفكر-بيروت, ط: الثانية، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م

_ زاد المعاد في هدي خير العباد لابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ): مؤسسة الرسالة- مكتبة المنار، الكويت, ط: ٢٧ , ١٤١٥/١٩٩٤.

_ سنن أبي داود, سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ) المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد,: المكتبة العصرية– بيروت

_ سنن الترمذي, محمد بن عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ), تحقيق: أحمد شاكر وغيره: مطبعة مصطفى البابي الحلبي– مصر, ط: الثانية، ١٣٩٥.

_ سيرة ابن إسحاق (السير والمغازي) المدني (المتوفى: ١٥١هـ) تحقيق: سهيل زكار: دار الفكر – بيروت, ط: الأولى ١٣٩٨/١٩٧٨م

_ السنن الصغير للبيهقي, المحقق: عبد المعطي قلعجي, دار النشر: جامعة الدراسات الإسلامية. باكستان, ط: الأولى، ١٤١٠- ١٩٨٩.

_ السنن الكبرى, للبيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ), المحقق: محمد عبد القادر عطا: دار الكتب العلمية– لبنان, ط: الثالثة، ١٤٢٤ - ٢٠٠٣ .

_ السيرة النبوية لابن هشام الحميري (المتوفى: ٢١٣هـ), تحقيق: مصطفى السقا وغيره: مطبعة مصطفى الحلبي بمصر, ط: الثانية، ١٣٧٥.

_ شرحُ مُسْنَد الشَّافِعِيّ, عبد الكريم بن محمد الرافعي القزويني (المتوفى: ٦٢٣هـ), الناشر: وزارة الأوقاف، قطر, ط: الأولى، ١٤٢٨ .

_ صحيح البخاري محمد بن إسماعيل الجعفي: دار طوق النجاة مصورة عن السلطانية, ط: الأولى، ١٤٢٢.

_ صحيح مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ), المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي: دار إحياء التراث العربي – بيروت

_ الصواعق المرسلة لابن القيم, دار العاصمة، الرياض، السعودية, ط: الأولى، ١٤٠٨هـ .

_ فتح الباري شرح صحيح البخاري, لابن حجر العسقلاني الشافعي: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩

_ فتح القدير: للشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ): دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت, الطبعة: الأولى - ١٤١٤ .

_ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل, محمود بن عمرو الزمخشري جار الله (٥٣٨هـ): دار الكتاب العربي– بيروت, ط: الثالثة- ١٤٠٧.

_ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح, لعلي بن (سلطان) الملا الهروي القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ): دار الفكر– لبنان, ط: الأولى، ١٤٢٢.

_ مسند الإمام أحمد بن حنبل(المتوفى: ٢٤١هـ), المحقق: شعيب الأرنؤوط وآخرون: مؤسسة الرسالة, ط: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م

_ معالم السنن، لأبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي (المتوفى: ٣٨٨هـ): المطبعة العلمية – حلب, ط: الأولى ١٣٥١ - ١٩٣٢

_ مفاتيح الغيب= التفسير الكبير, لمحمد بن عمر التيمي الرازي (المتوفى: ٦٠٦هـ): دار إحياء التراث العربي– بيروت, ط: الثالثة - ١٤٢٠.

_ موطأ الإمام مالك المدني (المتوفى: ١٧٩هـ) رواية أبي مصعب الزهري, المحقق: بشار عواد - محمود خليل: مؤسسة الرسالة: ١٤١٢ هـ

_ المحلى بالآثار, علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ): دار الفكر – بيروت: بدون .

_ المستدرك على الصحيحين, لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري (المتوفى: ٤٠٥هـ): دار الكتب العلمية – بيروت, ط: الأولى، ١٤١١ .

_المستطرف في كل فن مستطرف, شهاب الدين محمد بن أحمد الأبشيهي (المتوفى: ٨٥٢هـ): عالم الكتب – بيروت,ط: الأولى، ١٤١٩ هـ

_ المصنف في الأحاديث لأبي بكر بن أبي شيبة (المتوفى: ٢٣٥هـ): مكتبة الرشد – الرياض, الطبعة: الأولى، ١٤٠٩

_ المغازي, لمحمد بن عمر المدني الواقدي (المتوفى: ٢٠٧هـ), تحقيق: مارسدن جونس: دار الأعلمي– بيروت, ط: الثالثة - ١٤٠٩/١٩٨٩.

_ المقاصد الحسنة للسخاوي (المتوفى: ٩٠٢هـ): دار الكتاب العربي – بيروت ط: الأولى، ١٤٠٥

_ المنتظم في تاريخ الأمم والملوك, المؤلف: لابن الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ): دار الكتب العلمية، بيروت, ط: الأولى، ١٤١٢ - ١٩٩٢ م

_ المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج, لمحيي الدين النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ): دار إحياء التراث العربي – بيروت, ط: الثانية، ١٣٩٢

_ الموسوعة الفقهية الكويتية عن: وزارة الأوقاف– الكويت, عدد الأجزاء: ٤٥ دارالسلاسل– الكويت، دار الصفوة – مصر.

_ نيل الأوطار, للشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ), تحقيق: عصام الدين الصبابطي: دار الحديث، مصر, ط: الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م

_ الوَاضِح في أصُولِ الفِقه, لعلي بن عقيل البغدادي الظفري، (المتوفى: ٥١٣هـ): مؤسسة الرسالة– لبنان, ط: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م

ترجمة المراجع:

_ Sunan al-Tirmidhi, Muhammad bin Issa (deceased: 279 AH), edited by: Ahmed Shaker and others: Mustafa al-Babi al-Halabi

Press - Egypt, second edition, 1395.

_ Biography of Ibn Ishaq (Al-Sir and Al-Maghazi) Al-Madani (died: 151 AH) Edited by: Suhail Zakkar: Dar Al-Fikr - Beirut, first edition 1398/1978 AD * References *

** The Holy Quran .

_ Ahkam al-Qur'an, by Ahmed bin Ali al-Razi al-Jassas al-Hanafi (died: 370 AH): Arab Heritage Revival House - Beirut, publication date: 1405 AH

_ Asna Al-Matalib fi Sharh Rawdat Al-Talib, Zakaria bin Muhammad Al-Ansari, Al-Saniki (deceased: 926 AH): Dar Al-Kitab Al-Islami: without

_ Signs of the Prophet, by Ali bin Muhammad bin Muhammad bin Habib Al-Basri Al-Baghdadi Al-Mawardi (deceased: 450 AH): Dar Al-Hilal - Beirut, first edition - 1409.

_ Informing the signatories about the Lord of the Worlds by Ibn Qayyim al-Jawziyyah (deceased: 751 AH) Verified by: Muhammad Abd al-Salam: Dar al-Kutub al-Ilmiyya - First Edition, 1411.

_ Ihsan fi Taqreeb Sahih Ibn Hibban, arranged by: Aladdin Ali bin Balban Al-Farsi (died: 739 AH): Al-Risala Foundation, first edition, 1408.

_ Al-Ahkam Al-Sultaniya, by Abu Al-Hasan Ali bin Muhammad bin Muhammad bin Habib Al-Basri Al-Baghdadi Al-Mawardi (deceased: 450 AH): Dar Al-Hadith - Cairo

_ Al-Istigathah fi Al-Rid' al-Bakri, by Ibn Taymiyyah (: 728 AH) Verified by: Dr. Abdullah bin Dujain: Dar Al-Minhaj - Saudi Arabia, first edition, 1426 AH

_ Al-Isaba fi Ta'miyyah al-Sahabah, by Ibn Hajar al-Asqalani (deceased: 852 AH): Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya - Beirut, first edition - 1415 AH

_ Al-I’tisam by Al-Shatibi, Dar Ibn Al-Jawzi, Saudi Arabia, first edition, 1429.

_ Information about the Breakers of Islam by Ibn Hajar Al-Haytami Al-Ansari (974 AH) Edited by: Muhammad Awad: Dar Al-Taqwa / Syria, first edition, 1428 AH / 2008 AD

_ The Beginning and the End by Ibn Kathir al-Qurashi al-Basri and then al-Dimashqi (deceased: 774 AH): Dar Hijr, First Edition, 1418-1997.

_ The long sea in the interpretation of the glorious Qur’an, by Ibn Ajiba Al-Hasani Al-Fassi (1224 AH), publisher: Dr. Hassan Abbas Zaki - Cairo, edition: 1419 AH.

_ Al-Bahr Al-Muhit fi Usul al-Fiqh: Badr al-Din Muhammad bin Abdullah bin Bahadur al-Zarkashi (deceased: 794 AH), Dar al-Kutbi, first edition, 1414.

_ Tafsir Al-Baghawi, Al-Hussein bin Masoud (deceased: 510 AH): Dar Taiba, fourth edition, 1417 AH - 1997 AD

_ Accelerating benefit through the additions of the men of the four imams, by Ibn Hajar Al-Asqalani (died: 852 AH): Dar Al-Bashaer - Beirut, first edition - 1996 AD.

_ Liberation and Enlightenment, Al-Tahir bin Ashour Al-Tunisi (died: 1393 AH), Tunisian Publishing House - Tunisia: 1984 AH.

_ Jami’ al-Bayan fi Interpretation of the Qur’an, by Muhammad bin Jarir al-Tabari (deceased: 310 AH). Editor: Ahmed Shaker: Al-Risala Foundation, first edition, 1420.

_ Al-Jami’ li Ahkam Al-Qur’an = Tafsir Al-Qurtubi Al-Ansari Shams Al-Din (deceased: 671 AH): Dar Al-Kutub Al-Misriyah - Cairo, second edition, 1384.

_ The Lovers in the News of the Angels, Abdul Rahman bin Abi Bakr Jalal al-Din al-Suyuti (deceased: 911 AH): Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, first edition, 1405.

_ Evidence of Prophethood and Knowledge of the Conditions of the Author of Sharia, by Al-Bayhaqi (deceased: 458 AH): Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya - Beirut, First Edition - 1405 AH

_ The response of the confused person to Al-Durr Al-Mukhtar, by Ibn Abidin, Al-Dimashqi Al-Hanafi (died: 1252 AH): Dar Al-Fikr - Beirut, second edition, 1412 AH - 1992 AD.

_ Zad al-Ma’ad fi Huda Khair al-Ibbad by Ibn Qayyim al-Jawziyyah (deceased: 751 AH): Al-Risala Foundation - Al-Manar Library, Kuwait, edition: 27, 1415/1994.

_ Sunan Abi Dawud, Suleiman bin Al-Ash’ath Al-Sijistani (died: 275 AH), investigator: Muhammad Muhyiddin Abdul Hamid,: Al-Asriya Library - Beirut

_ Al-Sunan Al-Saghir by Al-Bayhaqi, edited by: Abdul Muti Qalaji, publishing house: University of Islamic Studies, Pakistan, first edition, 1410-1989.

_ Al-Sunan Al-Kubra, by Al-Bayhaqi (deceased: 458 AH), edited by: Muhammad Abdul Qadir Atta: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya - Lebanon, third edition, 1424 - 2003.

_ The Biography of the Prophet by Ibn Hisham Al-Himyari (deceased: 213 AH), edited by: Mustafa Al-Saqqa and others: Mustafa Al-Halabi Press in Egypt, second edition, 1375.

_ Explanation of Musnad Al-Shafi'i, Abdul Karim bin Muhammad Al-Rafi'i Al-Qazwini (died: 623 AH), Publisher: Ministry of Endowments, Qatar, first edition, 1428.

_ Sahih Al-Bukhari Muhammad bin Ismail Al-Jaafi: Dar Touq Al-Najat, illustrated by Al-Sultaniya, first edition, 1422.

_ Sahih Muslim bin Al-Hajjaj Al-Qushayri Al-Naysaburi (died: 261 AH), verified by: Muhammad Fouad Abdel-Baqi: Arab Heritage Revival House -

_ Al-Sawa'iq Al-Mursalah by Ibn Al-Qayyim, Dar Al-Asimah, Riyadh, Saudi Arabia, first edition, 1408 AH.

_ Fath al-Bari, Sharh Sahih al-Bukhari, by Ibn Hajar al-Asqalani al-Shafi'i: Dar al-Ma'rifa - Beirut, 1379.

_ Fath Al-Qadeer: by Al-Shawkani Al-Yamani (died: 1250 AH): Dar Ibn Kathir, Dar Al-Kalam Al-Tayyib - Damascus, Beirut, first edition - 1414.

_ Al-Kashshaf fi Haqiyyat Mukhiyyat al-Tanzeel, Mahmoud bin Amr Al-Zamakhshari Jar Allah (538 AH): Dar Al-Kitab Al-Arabi - Beirut, third edition - 1407.

_ Marqaat al-Muftayat Sharh al-Mishkat al-Masabah, by Ali bin (Sultan) Mullah al-Harawi al-Qari (died: 1014 AH): Dar al-Fikr - Lebanon, first edition, 1422.

_ Musnad of Imam Ahmad ibn Hanbal (deceased: 241 AH), edited by: Shuaib Al-Arnaut and others: Al-Risala Foundation, first edition, 1421 AH - 2001 AD

_ Landmarks of the Sunnah, by Abu Suleiman Hamad bin Muhammad bin Ibrahim Al-Khattabi (deceased: 388 AH): Scientific Press - Aleppo, first edition 1351 - 1932

_ Keys to the Unseen = Al-Tafsir Al-Kabir, by Muhammad bin Omar Al-Taymi Al-Razi (died: 606 AH): Arab Heritage Revival House - Beirut, third edition - 1420.

_ Muwatta of Imam Malik al-Madani (died: 179 AH), narrated by Abu Musab al-Zuhri, investigator: Bashar Awad - Mahmoud Khalil: Al-Resala Foundation: 1412 AH

_ Al-Muhalla bi-Athar, Ali bin Ahmed bin Saeed bin Hazm Al-Andalusi Al-Qurtubi Al-Zahiri (deceased: 456 AH): Dar Al-Fikr - Beirut: Without.

_ Al-Mustadrak on the Two Sahihs, by Abu Abdullah Al-Hakim Al-Naysaburi (deceased: 405 AH): Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya - Beirut, first edition, 1411.

_The Extremist in Every Art is an Extremist, Shihab al-Din Muhammad bin Ahmad al-Abshihi (deceased: 852 AH): The World of Books - Beirut, first edition, 1419 AH.

_ Al-Musannaf fi Al-Hadith by Abu Bakr bin Abi Shaybah (deceased: 235 AH): Al-Rushd Library - Riyadh, First Edition, 1409

_ Al-Maghazi, by Muhammad bin Omar Al-Madani Al-Waqidi (died: 207 AH), edited by: Marsden Jones: Dar Al-Alami - Beirut, third edition - 1409/1989.

_ Al-Maqasid Al-Hasanah by Al-Sakhawi (died: 902 AH): Dar Al-Kitab Al-Arabi - Beirut, First Edition, 1405

_ Al-Muntazim fi Tarikh Al-Numm wa Al-Kings, author: Ibn Al-Jawzi (deceased: 597 AH): Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut, first edition, 1412 - 1992 AD.

_ Al-Minhaj Explanation of Sahih Muslim bin Al-Hajjaj, by Muhyi al-Din al-Nawawi (deceased: 676 AH): Dar Ihya' al-Tarath al-Arabi - Beirut, second edition, 1392

_ The Kuwaiti Jurisprudence Encyclopedia, from: Ministry of Endowments - Kuwait, number of parts: 45, Dar Al-Salasil - Kuwait, Dar Al-Safwa - Egypt.

_ Neel Al-Awtar, by Al-Shawkani Al-Yamani (died: 1250 AH), edited by: Issam Al-Din Al-Sababti: Dar Al-Hadith, Egypt, first edition, 1413 AH -

_ Al-Wadeh fi Usul al-Fiqh, by Ali bin Aqeel al-Baghdadi al-Dhafri, (deceased: 513 AH): Al-Risala Foundation - Lebanon, first edition, 1420 AH -